

روايات مصرية للجيب ونبيل فاروق

رجل المتحيل

المأزق

146



www.lilas.com/vb3





د. نبيل فاروق

**رجل
المتحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة**

146

المأزق

- ماذا طالبت الخابرات الأمريكية بعزل (أدهم صبري) من منصبه ؟
- ما سر تلك الزعيمة الغامضة ، التي تحاول السيطرة على الموقف العالمي كله ؟
- ترى هل ينجح (أدهم) في تجاوز الأزمة . وهل يجد مخرجاً من هذا (المأزق) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة . وقاتل بعقلك وخيالك مع الرجل .. (رجل المتحيل) .



العدد القادم (الغامضة)



١- زيارة رسمية ..

« قتيبة »

تطلق التهتاف في قوة وحزم ، مقترناً بصوت ارتطام الكعوب بعضها ببعض ، في ضربة آنية واحدة ، وارتفعت الأيدي بالتحية العسكرية ، في نفس اللحظة التي ظهرت فيها سيارة مدير المخابرات العامة المصرية ، وهي تعبر بوابة القصر الجمهوري ، في لحظة مبكرة من ذلك الصباح ، الذي غابت فيه الشمس ، واحتجبت خلف غيوم كثيفة ، غير مأوفة أو معتدة ، في هذا الوقت من العام ..

وعبر ساحة القصر الجمهوري ، تخطت السيارة مسراها ، حتى توقفت أمام العنبر الكبير ، حيث استقبلها مدير مكتب الرئيس شخصياً ، والذي بدأ شديد الاهتمام ، وهو يصافح مدير المخابرات ، قائلاً :

- صباح الخير ياسيدى .. معذرة لإيقاظك في هذه الساعة المبكرة ، ولكن من الواضح أن الأمر عاجل ومهم للغاية ، وسيدة الرئيس ينتظرك في مكتبه بالفعل .

تسلم مدير المخابرات ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

- لا بأس .. لقد اعتدت الاستيقاظ مع صلاة الفجر ، تماماً كما يفعل سيادة الرئيس .

رجل المستحيل



(أدهم صبري) .. ضابط مخابرات مصري ، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعني أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فبمعنى أنه الأول من نوعه ، هذا لأن (أدهم صبري) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسنن إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لسبب لغات حية ، وبراعته الفعالة في استخدام أدوات التتكر (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغوصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبري) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبري) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نعيم فاروق

كانت عقارب الساعة لم تكف تتجاوز الساعة ، عندما
دلف مدير المخابرات إلى مكتب الرئيس ، قائلًا :

- صباح الخير يا سيادة الرئيس .

ردّ الرئيس تحيته ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويثير
إليه بالجلوس ، ثم يجلس على المقعد المواجه له ، ويميل
لحوه ، قائلًا في اهتمام :

- الأمريكيون أرسلوا زائرًا رسميًا إليكم .

بدت العبارة غامضة إلى حدّ ما ، في ذهن مدير المخابرات ،
على الرغم من وضوحها اللغوي ، فقال في شيء من
الحذر ، يفترون عادة بكل من يحتل هذا المنصب شديد
الحناسية :

- إيلينا ؟!

أجابته الرئيس في حزم :

- نعم .. إليكم .

ثم اعتدل جالسًا ، وتابع في اهتمام شديد :

- هم أيضًا يعملون أنني أستوقف في ساعة مبكرة جدًا ،
قبل شروق الشمس ، لذا فقد اتصلوا بي في السادسة

والثالث صباحًا ، ليخبرني رئيسهم بنفسه ، أن أحد مسئولى
المخابرات المركزية الأمريكية يرغب في عقد اجتماع خاص
جدًا ، وعاجل جدًا ، مع مدير المخابرات العامة المصرية .

عاد مدير المخابرات برؤد ، بنفس الحذر البالغ :

- خاص جدًا ، وعاجل جدًا !! ما لذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أطلق الرئيس تهديدًا قوية ، من أعني أصمق صغره ،
قبل أن يلوّح بكفيه ، قائلًا :

- بالضبط .. هذا هو السؤال ، الذى يحتاج منا إلى كل
التركيز .. ما لذى يعنيه هذا بالضبط ؟! أى أمر هذا ، الذى
يحتاج إلى اجتماع خاص جدًا ، وعاجل جدًا ، مع مدير
المخابرات العامة شخصيًا .

أطلق مدير المخابرات العطن لأفكاره ، وهو يجيب ،
بنفس الحذر المعتن بشخصيته الفريدة :

- إنه ليس أمرًا سياسيًا حتمًا ، وإلا لطلبوا مقابلة شخصية
عاجلة مع سيادتكم ، أو مع أحد مستشاريكم ، أو حتى مع
السيد وزير الخارجية .

تابع الرئيس في اهتمام :

- وهو ليس أمراً عسكرياً أيضاً ، فلنا بحكم منصبى ،
التفقد الأعلى للقوات المسلحة ، وهناك وزير الدفاع ، وقادة
أفرع الجيش المختلفة .

أشار مدير المخابرات بسببته ، قائلًا :

- تتبني إن الأمور الخاصة بنا .. أعمال المخابرات .

التقى حاجبا الرئيس ، وهو يقول :

- بالضبط .

ثم نهض من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، فنهض
مدير المخابرات بدوره ، ليتابع فى حزم :

- ولكن أعمال المخابرات هى أمور بالغة السرية ، فى
آية دولة من دول العالم ، ولا يصح .. بل ولا يجوز رسمياً
أن تتم مناقشتها ، أو أن تطالب دولة ما ، آية دولة أخرى ،
بأن تفسح لها عما تعتبره من شئونها الخاصة .

وافقه الرئيس بإيماءة من رأسه ، وقال :

- والأمريكيون يعرفون هذا جيداً ، وعلى الرغم من
خطرستهم وتبجحهم فى الآونة الأخيرة ، إلا أنهم قد تعاملوا
معنا أكثر من مرة من قبل ، ويعتدون جيداً أننا نضع

كرامتنا ووطنيتنا فوق كل اعتبار ، وأتينا إن ننتازل عن
حقوقنا أو خصوصيتنا ، مهما كانت الضغوط .. ومهما كانت
النتائج أيضاً .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، فى تفكير عميق ، وهو
يقول :

- ماذا إن ١٢

شعلهما الصمت بضع لحظات ، وكأنما لا يجد أحدهما
ما يضيفه ، أو أن كليهما يبحث فى ذهنه عن تفسير منطقى
للموقف كله ، ثم لم يلبث مدير المخابرات أن تتنح ،
واستعد طبيعته العسكرية ، وهو يشد قامته ، فى وقفة
حازمة صارمة ، ويقول :

- فليكن يا سيادة الرئيس .. إتينا أمام لغز ما ، وهذا هو
صلنا ، فى جهاز المخابرات .. سنعتقد اجتماعياً فورياً ؛
لدراسة الموقف كله ، وسأطلب من أفضل خبراءنا أن

قاطعه الرئيس فى حزم :

- الأمريكيون أيضاً توقعوا هذا .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، فى تساؤل قلق ، وهو
يتطع إلى الرئيس ، الذى تابع :

- لذا فقد لجأوا إلى أسلوب متحليين سليف ، وأرسلوا راجعهم إلى هنا فعلياً ، قبل مغادرتنا رسمياً ، وهو الآن في سفارتهم ، في حي (جاردن سيتي) ، ويطلب الاجتماع بك في الثامنة ، بحجة أن طائرة خاصة ستقله إلى (أوروبا) ، في منتصف النهار ، ولا بد أن ينهي مهمته هنا ، قبل سفره إلى هناك .

زداد تعقد حاجبي مدير المخابرات ، وهو يعيد دراسة الموقف كله ، وفقاً للمعطيات الجديدة ، قبل أن يقول :

- لتقلتها محاولة لإثبات قدرتهم على فرض إرادتهم وقتما يشاءون ، وكيفما يشاءون ، بإسيادة الرئيس !!

هز الرئيس رأسه ، في قوة وحزم ، وهو يجيب :

- لو أنني شعرت بهذا لحظة واحدة ، لرفضت الأمر كله فوراً ، ودون ذرة واحدة من التردد .. ولكن من الواضح أن لديهم بالفعل ما يريدون التباحث معك شخصياً بشأنه .. ربما هو أمر غير سياسي ، وغير عسكري كما تلقنا ، ولكنهم يريدون نه شكلاً رسمياً ، على نحو أو آخر ، ولولا هذا لنتم الاتصال بين مخابراتهم وبينكم مباشرة .

ختم مدير المخابرات مؤيداً :

- هذا صحيح .

التقى حاجبا الرئيس ، وأطلق حزم قوس ، من كل خلية في وجهه ، وكان لمحة من ملامحه ، وهو يقول في صرامة :

- فأين .. لديهم ما يريدون ، ونحن ما نرغب في معرفته ، وإن يتحقق هذا أو ذلك إلا باجتماعك بهم .

وصمت بضغ لحظات ، قبل أن يشيف بكل الحزم :

- وانقض الله (سبحانه وتعالى) أمراً كان مفعولاً .

وكان هذا فصل الختام ، في حوار الرئيس ومدير المخابرات ..

وتصل البداية ، لتلك اللغز الغامض ..

تلغز الأمريكي ..

في تمام الثالثة بالضبط ، وأقبل أن بعضى طرب التوتى في طريقه الثانية واحدة إضافية ، وصلت سيارة السفارة الأمريكية ، إلى مبنى المخابرات العامة المصرية ، في حي (كوبرى القبة) ، في قلب (القاهرة) ..

ووفقاً لأوامر المدير ، تم تباع كافة إجراءات الأمن المعقدة ، دون استثناء واحد ، ودون أن يعرض مندوب المخابرات

الأمريكية بحرف واحد ، حتى اصطبه أحد رجال الأمن ، إلى حجرة المدير ، الذي استقبله في احترام معتاد ، في مثل هذه الأحوال ، ولكن دون أية بادرة للحرارة أو المودة ، ثم دعاه إلى الجلوس ، قبل أن يسأله في هدوء ، لا يخلو من الحزم :

- لماذا طلبتم الاجتماع بي شخصياً ؟؟

التقط رجل المخابرات الأمريكي نفساً عميقاً ، ملأ به صدره عن آخره ، وكأنه يهيم بفوض معركة شرسة ، قبل أن يقول في حزم :

- الإمارة لدينا منزوعة جداً ، بشأن بعض تجاوزاتكم ، التي فاقت كل الحدود .

شك المدير أصابع كفيه أمامه ، وهو يقول في هدوء ، يخفى كل ما يعتل في أعصابه :

- تجاوزات ؟؟ وأية أمور تلك التي يمكن تسميتها بهذا المصطلح ، في عالم المخابرات ؟؟

أجابته العندوب الأمريكية في سرعة :

- أمور عديدة .

هز المدير كتفيه في هدوء عجيب ، قتلأ :

- فليكن .. لو أنه لديكم أية احتجاجات رسمية ، فممكنكم أن ..

قاطعته الأمريكي ، في شيء من العصبية :

- لو أن لدينا احتجاجات رسمية ، لما غادرت الولايات المتحدة الأمريكية قط ، ولتولت وزارة الخارجية الأمر كله .

صمت المدير لحظة ، قبل أن يسأله ، بنفس الهدوء الظاهري المستفز :

- ماذا هناك إذن ؟؟

أجاب الأمريكي ، قبل حتى أن يكتمل السؤال :

- تجاوزاتكم .

وهنا ضرب المدير سطح المكتب براسته ، قاتلاً في صرامة :

- أية تجاوزات ؟؟

احتقن وجه الأمريكي ، وازدد لعابه في توتر ، وكأنما لم يكن يتوقع هذا الهجوم ، قبل أن يقول :

- التخطوط الحمراء .. لقد تجاوزتم كل الخطوط الحمراء .

تعقد حاجبا المدير ، وهو يقول بكل الصرامة :

- لا توجد خطوط حمراء في عالمنا يا رجل .. لسنا مثلكم ،
نعمل أي شيء ممكن ، أو غير ممكن ، لبلوغ الأهداف والغايات ،
بغض النظر عن الطرق والوسائل والأساليب .. إتقا ويحكم
طبعتنا وميلنا ، واقتنأنا منا بعقيدتنا ، نلتزم حتمًا بحدود
خاصة ، وتكليف ومسئلتنا لتتوافق معها ، بحيث نحقق
التجاح ، دون أن نخل بالعتيدة ، أو أخلاقيات المهنة .

هذه الأوامر في رأسه في قوة ، قائلًا في حدة :

- لا توجد أخلاقيات لعالم المخابرات ، سوى أن تزيح
عمليتك ، وتتصر في مهمتك ، مهما كانت الوسائل .. وعقيدتنا
أن التجاح في النهاية ، يظفر كل ما سبقه من تجاوزات .

أشار المدير بسبابته ، قائلًا في صرامة :

- من وجهة نظركم فحسب .

لوح الأمريكي يذراعه كلها ، هاتفاً :

- فليكن .. هذا شأنكم وحدكم .

أجاب المدير ، بمنتهى الصرامة :

- بالتاكيد .

حاول الأمريكي أن يتلطف لنفسه ، للسيطرة على انفعاله
الجارف ، الذي دفعه إلى تجاوز الحدود ، وبذل جهداً خرافياً ،
للاسترخاء في مقعده ، ولكن مدير المخابرات المصرية قال
في حزم ، دون أن يمنحه الفرصة لهذا :

- لم أحصل على جواب بعد .

تلتحج مندوب المخابرات الأمريكية ، في عصية واضحة ،
قيل أن يقول في شراء من الحدة :

- إني هنا ، بشأن أحد رجالكم .

ترجع المدير في مقعده ببطء ، وبدانته أنه قد أترك الهدف
لغيره ، فقتلح إلى عيني الأمريكي مباشرة ، وهو يردد في حذر :

- أحد رجالنا !

قال الأمريكي إلى الأمام بحركة حادة ، قائلًا :

- نعم ..

غلبه الالفعال ، على الرغم منه ، فارتدرد لعابه هذه
المرة ، قيل أن يكمل في صوت مبجوح :

- (أسمع صبري) -

تعقد حاجبا المدير ، وهو يعقل بحركة حادة ، هاتفاً :

- ...

بتر كلمته بفعلة واحدة ، قبل أن ينطق الرمز الكودى
 لـ (لهم) ، والذي اعتاد أن يخاطبه به دومًا ، من دون
 لسمه ، وبدا الغضب واضحًا جدًا ، فى ملامحه وصوته ،
 وهو يقول فى صرامة :

— ماذا عنه ؟؟

قال الأمريكى فى توتر ملحوظ :

— رجتكم هذا بالذات ، يتجاوز نوعًا كل القواعد والحدود ،
 عندما يقوم بمهمة ما ؛ حتى إنه لا يبالي بكوننا قادة النظام
 العالمى الجديد ، وزعماء لـ ...

قاطعه المدير فى صرامة ، ليمنعه من مواصلة كلمته
 المتباهية السطيفة :

— ومن يبالي ؟؟

تسعت عينها الأمريكى ، وهو يحدث فيه بدعشة بالغة ،
 وكأنها لا تصدق ما سمعته ، فواصل المدير ، بكل صرامة
 الدنيا :

— دعنى لأذكركم بقاعدة مهمة ، فى عالم المخابرات ،
 فالعمل هو العمل ، وكل جهاز يلاى دوره ، وفقًا لمقتضيات

الموقف ، ومتغيرات الأمور والأحداث فى وقته ، وفى
 المنطقة المحيطة به ، وكل رجل هنا يؤذى واجبه ، بكل
 إخلاص وأمانة وصداق وتلفان ، وكلهم مستعدون للموت ،
 دون ذرة واحدة من التردد ، فى سبيل عقيدتهم ووطنهم ،
 فمن ألتهم حتى نأثروا بكل عطسة الدنيا ، لتطالبننا بالأذى
 صلنا وواجهنا ؟؟ من تكونون ، حتى تحاولوا بفضا إلى
 مسار واحد ، تختارونه لنا بأنفسكم ؟؟

ثم نهض بحركة حادة ، انتفض لها جسد الأمريكى على
 نحو غريزي ، وهو يواصل ، بنفس الصرامة :

— لو أن هذا هو السبب الوحيد لاجتماعكم بنا ، فيمكنك
 أن تعتبر أن هذا ردنا النهائى .

هتف الأمريكى فى غضب :

— ولكننى لم أترح مطلبنا بعد .

صاح به مدير المخابرات :

— العبدأ نفسه مرفوض .. لن تسمح لكم بالتكلم فى
 شئوننا الخاصة أبدًا .

هب الأمريكى واقفًا ، وهو يقول فى حدة :

— مهما كانت النتائج ؟؟

شد مدير المخبرات قامته ، وأجلب بكل الحزم :

- مهما كانت النتائج .

انقلض جسد الأمريكي في قوة ، واحتنق وجهه بشدة ، وبدا لحظة وكأنه سينفجر كبلون منتفخ ، من فرط تفعاله ، في حين عقد مدير المخبرات ساعديه أمام صدره في صرامة ، و

- « أنا مصرٌّ .. »

نظفها الأمريكي فجأة ، بصوت حاد رفيع ، بدأ وكأنه قد تجاوز حلقه بدفعة واحدة مباحثة ، وهو يضم حقيقته في شدة إلى صدره ، على نحو يوحى بأنها تحوى شيئاً يتلغ الأهمية ، فسأله المدير في صرامة :

- علام تكسر ؟

أجابته الأمريكي ، في سرعة وعصبية :

- على استكمال المفاوضات .

أشار المدير براحة ، قتلأ في صرامة شديدة :

- لا تتفاوض في هذا الشأن .

جنس الأمريكي بحركة عصبية ، وهو يفتح حقيقته ، قتلأ في عدا :

- لا بد أن تسمعوا عرضنا أولاً .

صمت مدير المخبرات يضع لحظات ، وهو يدير الأمر في رأسه ، فتابع مندوب المخبرات الأمريكية في شيء من العدة :

- وأن تتشاور فيه مع الرئيس شخصياً ، قبل اتخاذ أي قرار .

رفقه مدير المخبرات بنظرة صارمة ، قبل أن يعود للجلوس على مقعده ، ويقول بنفس الصرامة :

- وما عرضكم هذا ؟!

تلقت الرجل من حقيقته عدة أوراق ، وضعها أمام مدير المخبرات ، وهو يقول في سرعة :

- لتكونجس وافق على منحكم ضعف المساعدات المالية والعسكرية المالية ، وزيادة نسبة التعاون الفني بيننا ثلاث مرات ، كما وافق على فتح الأسواق الأمريكية أمام منتجاتكم ، و ...

قائمه المدير في حزم :

- والثمن ١٢

ترجع المنسوب الأمريكي في مقعده ، قاتلاً :

- أتم تعرفون ثلثين .

مثل المدير نحوه ، قاتلاً في صرامة :

- حياة (أهم صبرى) .. أليس كذلك ١٢

استعاد الأمريكي لونه الطبيعي ، والكثير من هدونه
وثقلته بنفسه ، وهو يقول :

- ليس بالضرورة .. حياته أو موته لا يعنيننا كثيراً في
الواقع .

ثم التفتي حجاباه ، وهو يعيد إلى الأمام ، مستظرفاً :

- المهم ألا يبقى .

ترجع مدير المحاضرات في مقعده ، دون أن يرفع
عينيه عن وجه الرجل ، الذي تابع ، وقد استعاد ثقته
كاملة :

- هناك وسائل عديدة ، فمن الممكن إحالته إلى التقاعد ،
أو نقله إلى وظيفة إدارية ، في جهاز أمنى آخر ، أو حتى
منحه منصباً قيادياً ، في وزارة السياحة ، أو هيئة البترول ،
أو

قائمه المدير بكل الحزم والحزم :

- (أهم) سيقى .

تطلع إليه الأمريكي في صمت ، فتابع بنفس التهجئة :

- وقرار اعتزاله يعود إليه ، أو إلى تجاوزه السن
القانونية للعسل .. وحتى في الحالة الأخيرة ، أفطن
أن أى مدير قادم للمحاضرات ، لن يتردد لحظة واحدة ،
في التعاقد معه شخصياً ، للاستفادة من كل خبراته
السابقة .

ثم أشار بسبابته ، مضيفاً في صرامة :

- ما لم يظلمه الرئيس ، كمنسئشر أمنى خاص
بالمطبخ .

صمت الأمريكي طويلاً هذه المرة ، وهو يشك أصابع كفيه أمام وجهه ، قبل أن يقول فجأة ، في شيء من العزم :

- أئن تتحاور مع الرئيس أولاً؟

أجابه مدير المخابرات في صرامة :

- إن يختلف رأي سيادة الرئيس كثيراً ، عما سمعته مني الآن .

قال الرجل في تحد :

- أنت واثق؟؟

عقد المدير ساعديه أمام صدره ، قتلاً في جسم :

- تمام الثقة .

ارتسعت ابسامة غامضة ، على شفطي الأمريكي ، وهو يلتقط مجموعة أوراق جديدة من حقيبته ، ويضعها أمام مدير المخابرات ، قتلاً :

- الأفضل ألا تسرف في الثقة .. أو التقلول .

ثم تراجع في مقعده ، مضيقاً :

- قبل أن تطالع الجزء الثاني من عرضنا هذا .

التقط مدير المخابرات الأوراق ، في حذر قلق ، واتحسى بطلعها في اهتمام ، قبل أن يعتقد حاجبها في شدة ، ويتلجج الحضب من كل ذرة في كبرته بلا استثناء ..

فالجزء الثاني من العرض الأمريكي ، كان يتجاوز الحدود بالفعل ..

كن الحدود .

رياحيين

www.liilas.com/vb3



هاتف المساعدة ، وصورته تهتز ، على شاشة جهاز الاتصال المحدود :

- لم يعد مستحيلاً أيها الزعيم .. لقد صار حقيقة .. حقيقة مرعبة مفزعة .. إننا نحيا كابومنا بشعاً ، لم نتصور مجردة حدوثه .. كل شيء من حولنا ينهار ، بسرعة .. كل شيء .. كل شيء ..

صرخ بكلماته الأخيرة ، وقد تضاعف الغمته بشدة ، حتى خيل لمستمر (X) أن الرجل قد أصيب بالجنون ، من فرط الرعب والانهيار ، فزاد العناد حاجبيه ، وهو يقول في صرامة عصبية :

- فليكن .. لدينا خطة كثيرة ، و

قبل أن يتم عبارته ، نقلت إليه أجهزة الاتصال نوى رصاصة ، استرجت بشهقة مكتومة من مساعده ، الذي بدا على ثلاثة متسع العينين ، متفجراً بالألم والرعب ، قبل أن تسيل الدماء فجأة ، من ثقب في جبهته ، ثم يسقط كالحجر ..

وتلصق جسد مستمر (X) في عطفه ، وهو يهباً من مقده بحركة حادة ، ويحتق في شاشة جهاز الاتصال المحدود ،

٢ - العرض الوقح ..

« كل شيء ينهار .. »

تطلعت المسحاة ، بكل ثوتر الدنيا ، عبر شبكة الاتصال المحدودة ، لدخل مقر مستمر (X) ، زعيم أكبر منظمة للجاسوسية الخاصة في العالم ، فتعقد حاجبا هذا الأخير في شدة ، وهو يقول في عصبية ، فلما اكتسبها صوته :

- مستحيل ! لا يمكن أن تسوء الأمور بهذه السرعة ! هذا المقر يعتبر حصناً حصيناً ، بالقياس إلى كل ما أعطناه به ، من وسائل الحماية والدفاع .

هاتف مساعده الأوك ، عبر شبكة الاتصالات ، وكل حرف من حروف كلماته يرتجف على شفثيه ، من فرط التوتر والانفعال :

- إهم يهاجمون نقاط تحصيننا ، ومقر دفاعنا مباشرة ، وكأنهم يعملون خريفتنا الدفاعية السرية .. لقد حصلوا عليها يا مستر (X) .. حصلوا عليها حكماً ، بوسيلة ما .

اتلقى حاجبا مستر (X) بمنتهى الشدة ، وهو يقول :

- مستحيل ! مستحيل !

التي جعلت صورة امرأة فلتة ، تقدمت نحوها في هدوء ،
وهي تحمل مسنناً ، مازال النخاع يكساعده منه ، وهي تقول
في سفرية :

- مرحباً يا زعيم الحمقى الغامض .. أراهن على أنك تم
تتوقع أبداً أن تحدث إليك يوماً ، من داخل مقرك الطريف
هذا .. أليس كذلك ؟؟

بدأ شديد التوتر والعصبية ، وهو يحثق في وجهها ،
الذي ملأ شاشة الاتصال ، قائلاً :

- توقع أنني كنت أنتظر شخصاً آخر .

هزت كتفها ، قائلة في لامبالاة :

- أعم هذا .

عاد حاجباه يتنقبان في عصبية ، وهو يقول :

- من الواضح أنك تعلمين الكثير .

أشارت بسنيتها ، قائلة :

- بالضببط .

ثم التقطت من عتبة سجرتها الذهبية سيجارة ، ذات لون
أحمر زاه ، دستها بين شفتيها الجميلتين ، وأشعلتها بقلادة
مرصعة بالماس ، ونفثت دخانها في استمتاع واضح ، قبل
أن تقول :

- قلنا أعم مثلاً ، لك تختبئ الآن ، داخل مقرك الخاص ،
أسفل القاعة التي أوقف فيها الآن ، وأن تصميمات المبنى
تجعل الوصول إليك ضرباً من المستحيل .

قال في صرامة :

- هذا صحيح .

أردفت في سرعة :

- من وجهة نظرك فقط .

نطقها ، ثم أطلقت ضحكة عالية عابثة ، قبل أن تميل
نحو الشاشة أكثر ، وتنفث دخان سيجارتها نحوها ،
متابعة :

- في طريقني إلى هنا ، مررت بمعمل لبرونسو (دراون) ،

التي جعلت صورة امرأة فلتة ، تقدمت نحوها في هدوء ،
وهي تحمل مسنناً ، مازال النخاع يكساعده منه ، وهي تقول
في سفرية :

- مرحباً يا زعيم الحمقى الغامض .. أراهن على أنك تم
تتوقع أبداً أن تحدث إليك يوماً ، من داخل مقرك الطريف
هذا .. أليس كذلك ؟؟

بدأ شديد التوتر والعصبية ، وهو يحثق في وجهها ،
الذي ملأ شاشة الاتصال ، قائلاً :

- توقع أنني كنت أنتظر شخصاً آخر .

هزت كتفها ، قائلة في لامبالاة :

- أعم هذا .

عاد حاجباه يتنقبان في عصبية ، وهو يقول :

- من الواضح أنك تعلمين الكثير .

أشارت بسنيتها ، قائلة :

- بالضببط .

ثم التقطت من عتبة سجرتها الذهبية سجارة ، ذات لون
أحمر زاه ، دستها بين شفتيها الجميلتين ، وأشعلتها بقلادة
مرصعة بالماس ، ونفثت دخانها في استمتاع واضح ، قبل
أن تقول :

- قلنا أعم مثلاً ، لك تختبئ الآن ، داخل مقرك الخاص ،
أسفل القاعة التي لكف فيها الآن ، وأن تصميمات المبنى
تجعل الوصول إليك ضرباً من المستحيل .

قال في صرامة :

- هذا صحيح .

أردفت في سرعة :

- من وجهة نظرك فقط .

نطقها ، ثم أطلقت ضحكة عالية عابثة ، قبل أن تميل
نحو الشاشة أكثر ، وتنفث دخان سجارتها نحوها ،
متابعة :

- في طريقني إلى هنا ، مررت بمعمل لبرونسو (دراون) ،

وأدرت معه حواراً هادئاً لطيفاً ، كتبت صعدة وجهة نظري ، تجاه هؤلاء العلماء ، فمع أول إظفر تتراعى من سهلته ، تهازل تماماً ، وسألنا عن التصميمات ، الخاصة بنظام الدفاع والحماية الإلكترونية للمكان كله ، وشرح لنا كيفية تجاوز كل الحواجز .

احتلن وجه مسر (X) . من فرط الغضب ، مع ضحكاتها العابثة الثابتة ، التي حملت قدراً رهيباً من السخرية ، قبل أن تتابع :

- وهذا يثبت أيضاً أنك ما زلت تعمل لمحة من العمالة في أصفك يا عزيزي الزعيم .. السابق .. فلو أنسى في موضعك لما تركت الرجل الذي يعرف أسرار دفاعاتي على قيد الحياة ، وبدون حراسة أو حماية أيضاً .. لا تحصل في قلبك ضغينة تجاهي يا عزيزي ، ولكن هذا التصرف كان شديد العمالة بالفعل .

تكررت عبارتها الأخيرة بأزيز جهاز إنذار خاص ، داخل

مخبله الحصين ، يشير إلى أن بعضهم قد تجاوز الدفاعات الرئيسية للمكبأ ، وأن سقوطه أصبح مسألة وقت لحسب ، فإزداد احتقان وجه مسر (X) ، وقيل في غضب هائل :

- مستغلين الثمن غالباً أيتها الحظيرة .

أطلقت ضحكة عالية ، إثر عبارته الفاضحة ، وقلقت بمنتهى السخرية :

- أرفع الثمن .. وأمن تتوقع أن أدفعه بالضبط ، يا زعيم المشغلين !!

جذب مسر (X) شريحة خاصة ، في قاعدة جهاز الاتصال ، وراحت أصابعه العصبية تضغط مجموعة من الأزرار الدقيقة ، المثبتة على سطحها ، في تتابع مدروس ، وهو يقول :

- لا تنبأني إلى هذا الحد أيتها الحظيرة .. ربما تسير الأمور ، على عكس ما تتصورين ، على الرغم من أن الأمور كلها قد توحي بخلاف هذا .

ارتفع حاجباها ، في دهشة ساخرة ، وهي تهتف :

- حقاً ؟

ثم عادت تعمل نحو الثالثة ، متابعة :

- ولكن معذرة يا عزيزى ، قنوتك تقصد نظام التدمير الشامل ، الذى لا يدرك رجالك وجوده ، والذى لا يمكن التحكم فيه ، إلا بواسطة تلك الشريحة الخاصة ، فى قاعدة جهاز الاتصال المحدود ، داخل المخبأ السرى ، فيؤسفن أن أخذك ، بقولى : إننا قد أتقنا وصلاته الرئيسية ، فور نجاحنا فى التحكم مفرك هذا .

وأطلقت ضحكة عابثة أخرى ، مضيئة :

- بلختصار يا عزيزى مستر (X) ، لقد أصبحت أشبه بفكر حثير ، داخل مصيدة محكمة ، ليس أمامه سوى انتظار لحظة وصول القط ، ليتهو به قليلاً ، ثم يلتهمه فى النهاية بلا رحمة .

حمل صوته كل غضب الدنيا ، وهو يهتف :

- هذا ما تتصورينه أيتها الحفيرة .

هزت كتفها فى لا مبالاة ، وكلفت سيجارتها بعيداً ، وهي تقول فى استهتار واتى :

- إنها مسألة وقت فحسب .

كان جهاز الإنذار الثقى ، داخل مخبأ مستر (X) ، قد انطلق أيضاً ، معنناً تهيار الدفاعات الثقوية ، إلا أن الرجل ضغط زر إنهاء الاتصال ، وهو يقول فى حدة :

- صحيح أنك تست من كنت أتوقعها ، وأنت أكثر مهارة وبراعة ، من كل ما تصورته ، ولكن هذا لا يعنى أنك قد خسرت المعركة كلها .

ثم استدار يضغط زرًا خلفياً ، فى جدار المخبأ الخلقى ، وهو يضيف فى مقت شديد :

- إنها مجرد جولة .

ازاح الجدار الخلقى فى خفة ، ودون أنلى صوت ؛ ليكشف خلفه زورقاً ألياً مصفحاً ، يستقر فوق سطح مياه جدول صناعى ، يتصل بالمعيط مباشرة ، فوثب إليه ، مكملاً :

- والتروفسير (براون) لم يكن وحده مبتكر كل شيء .

لم تمض دقيقة واحدة على قوله هذا ، حتى كان مقاتلو تلك الثلاثة الغامضة يقتحمون المكان ، بمنتهى القوة والعنف ، و ...

« اختلفي !! »

هتكت هي بالكلمة في غضب مكتوم ، عندما أبلغها الرجال بالأمر ، وأشعلت سيجارة أخرى ، في توتر ملحوظ ، قبل أن تقول في صرامة :

- خطأ .. أكبر خطأ .. كان من المعتمد أن يلقى مصرعه هنا .. لقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة لهذا !

أجابها قائد فرقها في توتر :

- من الواضح أن معلوماتنا لم تكن كاملة أيها الزعيمة .. كان هناك نفق فرار مائي سرى ، يتصل بالمحيط مباشرة ، ولقد رصد رجالنا زورقاً مصفحاً ، ينطلق بسرعة خرافية ، مبتعداً عن هنا ، وعندما أطلقوا النار نحوه ، ارتدت رصاصاتهم ، ثم غاص في أعماق المحيط ، واختلفي

تماماً عن الأنظار .. حتى طائرات الهليكوبتر عجزت عن العثور عليه .

اتعدد حاجبها في شدة ، وهي تتلفت دخان سيجارتها في توتر ، قبل أن تقول في عصبية :

- زورق مصفح ، يمكنه أن يتحول إلى غواصة صغيرة !! أسلوب بارع بحق يا مستر (X) .. لقد ربضنا الجولة ، ولكننا لم نربح المعركة كاملة ..

نفتت دخان سيجارتها بضع لعطالت ، قبل أن تتابع :

- قليين .. لن يفسد هذا خططنا المستقبلية .

وأدارت عينيها إلى قائد قواتها ، مستطردة :

- سننتقل إلى الفصل التالي من الخطة مباشرة .

سأبها في اهتمام :

- وماذا عن هذا المقرر ؟ هل نستولي على كل الأسلحة والأجهزة التكنولوجية ، و ...

قطعت في صرامة :

- تسف المكان كله فحسب .. فوراً .

ارتفع حاجبا الرجل في دهشة ، وهو يقول :

- أفسه ؟! هذه الأشياء تساوي ثروة طائلة ، و

قاطعته بصيحة هادرة :

- نفذ الأوامر .

ثم توجهت نحو الهليكوبتر الخاصة بها ، وهي تضيف
في صرامة شرسة ، ولهجة فلسية حاسمة :

- أنا وحدي أعلم ، لماذا أفعل كل هذا ؟!

قالتها ، ووثبت داخل الهليكوبتر ، مستطردة :

- لا تترك ثرة واحدة سليمة .. هل تفهم ؟ ثرة واحدة !

وارتفعت بها الهليكوبتر ، وانطلقت مبتعدة ، ثرثرة اللحد

خلفها ، في حيرة كبيرة ، ثم يلبث أن حسمها ، هاتفاً برجائه
في صرامة :

- استعدوا لتسف كل شيء .. فوراً .

كانت الهليكوبتر قد ابتعدت بها كثيراً ، عن المقر المصري
لمستر (X) ، عندما سطع ضوء الانفجار الهائل في السماء ،
فأثقلت عنها ، ولشعلت سيجارة جديدة ، مغمضة :
- عظيم .

فتسف المقر المصري لمستر (X) ، كان بالنسبة إليها
بداية العملية الكبرى القادمة ..

العملية التي ستغير وجه العالم كله ..

إلى الأبد ..

تعقد حاجبا (أدهم مصري) ، في صرامة غاضبة ، وهو
يطلق تلك الأوراق ، التي قلمها له مدير المخابرات ، قبل
أن يعيدها إليه ، قائلاً :

- الواقع أنه عرض وفتح للغاية ياسيدى ، ويضع وظلنا
كله في مأزق سخيف .

أشار المدير بسبابته ، قائلاً في حزم :

- سيادة الرئيس قرَّر رفض العرض كله يا (ن - ١) .. بل وتقديم احتجاج رسمي عليه ، في كل المحافل الدبلوماسية ، وبخاصة لدى الأمم المتحدة^(*) ، ومجلس الأمن^(**) .. الأمريكيون لن يفرضوا إرادتهم علينا أبداً ، مهما كان الثمن .. لقد أبلغتكم بالأمر ، فقط لأنك أحد أطرافه ، ومن حقتك أن تترك ما يدور من حولك .

بدا (أدهم) شديد الاهتمام ، وهو يقول :

- إنني لأعترم تماماً مواقف سيادة الرئيس ياسيدي ، وأترك جيداً أنه من المستحيل أن يقبل مثل هذا العرض الوقح ، حتى ولو كان الأمريكيون هم أكبر قوة ضاربة في العالم كله ، وزعماء النظام العالمي الجديد ..

(*) الأمم المتحدة ، منظمة دولية ، أنشئت عقب الحرب العالمية الثانية ، لتعمل على صفة الأمم ، في حفظ السلام ، وحل النزاعات الدولية ، وتحقيق التعاون الدولي ، الاقتصادي والاجتماعي ، وقد أُنعت إحدى وخمسون دولة على ميثاق الأمم المتحدة ، في ٢٦ يونيو ١٩٤٥ م ، والقواعد الرئيسية للأمم المتحدة هي : الجمعية العامة ، مجلس الأمن ، المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، مجلس trusteeship ، محكمة العدل الدولية ، والوكالة العامة .

(**) مجلس الأمن : أحد أفرع الأمم المتحدة ، والمسئول عن فض النزاعات الدولية ، وقد أُنشئ لأول مرة ، في يناير ١٩٤٦ م .

أترك أنه لن يقبل عرضهم ، لأن دعاهم الحرية تأتي عليه لن يقبله ، وترفض بكل شمم وإباء أن تحاول أية دولة في الوجود ، أن تفرض إرادتها على شعبنا وتاريخنا ، ولكن الأمريكيين يبرون الآن بحالة غير طبيعية ، من زهو القوة ، والتعطش لرائحة الدم ، والتجاهل التام لكل القوانين ، والقواعد ، والأعراف الدولية أو الإنسانية ، وما فعلوه هم والبريطانيون في (العراق) ، متجاوزين كل شيء ، وكل قنن ، ومعنيين بتأييدهم للقوة وشريعة الغاب ، هو أكبر دليل على وحشية هذا الزمن .

قال المدير في حزم :

- نحن نعلم كل هذا ، وما زلنا نرفض الاستسلام لإرادة الأمريكيين يا (ن - ١) .. سنستألف عن حريتنا واستقلالنا ، مهما كان الثمن ، ومهما كانت التضحيات .

صعدت (أدهم) لحظة ، التفت خلالها نفساً عميقاً ، قبل أن يقول في حزم واضح :

- ليس من العدل ياسيدي ، أن يضحي شعب كامل ، من أجل فرد واحد ، مهما كانت أهميته .

هز المدير رأسه ، قائلًا :

- إنها ليست مسألة فرد واحد يا (ن - ١) .. الأمر يتجاوز هذا بكثير ، ولو أن المشكلة تكمن في علاقتك بجهز المخابرات فحسب ، لكن من الممكن أن نتخذ قرارنا ، ولكن الواقع أنها لعبة فرض إرادة ، ولو استسلمنا للإذراء الأمريكى هذه المرة ، سيتمدون أكثر وأكثر ، فى المرة القادمة .

شدّ (أدهم) قامته ، قائلًا :

- إنهم سيتمدون فى كل الأحوال ياسيدى .. تجربتهم فى مشكلة (العراق) تثبت هذا .
تراجع المدير فى مقعده ، قائلًا فى حزم :

- أنت رجل مخابرات فريد يا (ن - ١) خير فى مهنتك ، مددش فى فرائدك ، وسيد بلا منازع فى عالمنا هذا ، ولكن لو أن براعتك فى السياسة تقارب براعتك فى صل المخابرات ، لأدركت أن الفارق شاسع ، بين موقفنا وموقف (العراق) السابق .. ولن ..

- « أرجو قبول استغاثتى ياسيدى .. »

قاطعه (أدهم) بقوله هذا فجأة ، فالتسعت عينها المدير ، وهو يهتف مستنكرًا :

- ماذا ؟؟

شدّ (أدهم) قامته أكثر ، وهو يقول ، بلهجة رجل خصم أمره ، واتخذ قرارًا لا رجعة فيه :

- يبدو لى حلًا مثليًا ، من جموع الوجوه ياسيدى .

حنق فيه المدير لحظة أخرى ، قبل أن يضرب سطح المكتب براحته ، هاتفًا فى صرامة :

- خطأ يا (ن - ١) .. خطأ .. لو استقلت من صحتك الآن ، سيتصور الأمريكيون أننا قد أجبرناك على تقديم استغاثتك ؛ تنفيذًا لمطالبهم ، وأنتا قد خضعتا لعرضهم الواقع هذا .

قال (أدهم) فى توتر :

- واستمررتى فى العمل سيضيع (مصر) كلها فى مسألتى -
سليف ياسيدى ، وسيضطرها إلى التسول فى صراع ، يتعارض مع كل مشروعاتها للتنمية ، وخطتها للمستقبل ، وكمصرى مخلص لوطنه ، فأى بنفسى عن التسبب فى حدوث هذا .

هز المدير رأسه نفيًا في قوة ، وهو يقول :

- ليس من حقه أن تتخذ القرارات ، في موقف كهذا ،
يخص الأمة كلها ، حتى ولو كان الأمر يتعلق بك شخصيًا .

التكلم (لهم) نفسًا صفيًا ، قيل أن يقول :

- صلتني ياسيدى .. أنا أشعر بالإرهاق الشديد ، منذ
فترة من الوقت ، ولأحتاج بالفعل إلى إجازة طويلة نسبيًا ،
أستعد خلالها لنشاطى ، وأسترجع حيويتى . والآن ، وفى
مثل هذه الظروف ، يبدو لى أنه لا فرق بين إجازة طويلة ،
واستقالة فورية .. على الأقل ، الأخيرة ستحسم الموقف كله
الآن .

تعتقد حاجبا المدير ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويقول
فى بده :

- إجازة طويلة ؟؟ فكرة لا بأس بها على الإطلاق .

ثم عاد يعضل بحركة حادة ، وأشار نحو (لهم)
بسيابته ، مستنردًا فى حماسة :

- إنه حل عبقرى يا (ن - ١) .

أطلق التساؤل من عنى (لهم) ، فتابع المدير بنفس

الحماسة :

- نلقد إلى شئون الأفراد بطلب إجازة طويلة .. إجازة
لمدة شهر مثلاً .. هذا حقه القانونى ، لأنه لم تحصل على
أية إجازات اعتيادية ، منذ عدة سنوات .. وعلى نحو
روتينى تمامًا ، ستتم الموافقة على طلب إجازتك ، بتاريخ
سابق لتبوم ، أى لك ، ومن التناحية الرسمية ، ستكون فى
إجازة رسمية ، منذ صباح أمس ، أى قبل أن يقدم
الأمريكون عرضهم الواقع .

تساءل (لهم) :

- وهل سيصنع هذا فرقًا ؟؟

أجابته المدير ، فى سرعة وهزم :

- بالتأكيد .

ثم عاد يتراجع فى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام

وجهه ، مضيقًا :

- سيمنعنا هذا شهراً كاملاً على الأقل ، الدراسة الموقف ،
وحيثه ، وتقييمه ، واتخاذ ما يلزم بشأنه .

تردد (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول :

- أخشى أنه مجرد تأجيل للمواجهة فحسب .

أشار المدير بمسأله ، قائلاً :

- عبارة لا ينبغي أن ينطقها رجل مخابرات معترف
ب(ن - ١) فتوقفت هو أفضل ما يمكن أن يحظى به
أي جهاز مخابرات ، لتجاوز العقبات ، وتحقيق
المستحيلات .

وارتسمت على شفايه ابتسامة وثقة ، وهو يشير بيده ،
قائلاً في حزم :

- ثم من يدري ، كيف يمكن أن تتطور الأمور ، خلال
شهر كامل ..

ولم ينثر المدير لحظتها ، كم كانت عبارته صغفة ..

فمن يدري ، كيف تتطور الأمور ، خلال شهر كامل ؟

بل خلال أسبوع واحد !!

من يدري ؟؟

هذا هو السؤال .

رياحين

www.liilas.com/vb3



لنعد حاجبا الرئيس الأمريكى فى شدة ، وهو يطبع الورقة التى وضعها مستشارته الأمنية الخاصة أمامه ، وقال فى حدة :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط !!

أجابته مستشارته الأمنية السعراء ، بلهجة باردة كمالحمها :

- كما ترى يا سيادة الرئيس .. إنه إنذار .

استشاط الرئيس الأمريكى غضبا ، وهو يهتف :

- إنذار !! ومن ذا الذى يجروى على توجيه إنذار لنا .. نحن أقوى دولة فى العالم ، وزعماء النظام العالمى الجديد ، و

قاطعه مستشارته الأمنية ، فى لهجة صارمة فلسية ، لا تتناسب مع وضعها السياسى :

- المنطقة التاسعة والأربعون ، تمت إزالتها تماما من الوجود .

حدثنى فيها الرئيس الأمريكى ، فى دهشة تمتزج بنمحة ذعر ، وهو يقول :

- المنطقة التاسعة والأربعون !! عن أية منطقة تتحدثين بالضبط !!

اعتلت ، مجيبة فى برود غاضب :

- عن القاعدة العسكرية السرية ، فى صحراء (نيفادا) ، والتي تحمل الرمز الكودى (المنطقة التاسعة والأربعين) ، والتي لا يعلم بوجودها سوى عدد محدود ، من كبار القادة والجنرالات .. تلك القاعدة ، التى تحوى عدداً من أسلحتنا السرية للتجريبية ، أصابها سلاح مجهول ، على نحو تسبب فى سحقها سحقاً ، وإزالتها من الوجود تماما .

بلغت دهشته حد الذهول ، وهو يحدثنى فى وجهها ، على نحو جعلها تقول فى حدة :

- سيادة الرئيس .. أحتاج إلى رأيك فى هذا الشأن .

تلفظ الرئيس الأمريكى ، كما لو أنه يفتق من سبات صيق ، وهتف بكل توتر الدنيا :

- رأى لنا !!

العقد حاجبها ، على نحو منحها مظهراً أكثر قسوة
وصرامة ، وهى تقول :

- أنت رئيس البلاد ، والقرار قرارك .

هناك فى عصبية :

- أين وزير الدفاع ؟ أين نائب الرئيس ؟! أين ...

قائمه مرة أخرى ، فى لهجة صارمة قاسية :

- سيادة الرئيس .. أين تطالع الإذار أولاً ؟!

العقد حاجباً الرئيس الأمريكى فى شدة ، وانتقط منظر
القراءة الخاص به ، وهو يقول فى حدة :

- بالتأكيد .

ثم صاح بها فى غضب ، وهو ينتقط الإذار مرة أخرى :

- وهى للمرة القاسية ، حاولت أن تتحدثنى إلسى بأسلوب
أكثر لياقة .. أنا رئيس القوى الدولية فى العالم .

شمعت فى ضجر :

- أهم هذا .

جرت عياداً فى سرعة ، على كلمت ذلك الإذار ، الذى
وصل إلى (البيت الأبيض) ، مقر الرئاسة الأمريكية ، عبر
جهاز الفاكس ، الخاص بمستشارة الأمن القومى شخصياً ،
وعاد مزيج من الدهشة والغضب يتصاعد فى أصغره ، قبل
أن يهتلق فى حدة ، وهو يلغى الإذار جانباً :

- كيف يجرعون ؟!

أجابته مستشارة الأمن فى سرعة :

- يجرعون ، لأنهم أعطونا نبلاً على قوتهم بالفعل ، يا سيادة
الرئيس ، عندما أزلوا المنطقة التاسعة والأربعين من لوجود ،
بمسلح مازال الخبراء يجهلون ماهيته ، حتى هذه اللحظة .

ثم أشارت إلى الإذار ، مستطردة :

- ومن الواضح أنهم يستعدون لإثبات قوتهم مرة أخرى ،
لقد طلبوا منا متابعة عيوط مكوك القضاء ، الذى سيصل
إلى الأرض ، خلال الثنتى عشرة دقيقة من الآن .

- بدأ عليه التوتر ، وهو يقول :

- وما الذى يمكن أن يفعلوه به ؟!

هزت رأسها ، قائلة :

- لا أحد يدري .

ثم استدركت في سرعة :

- ولكنني أمرت بمتابعة صلابة الهبوط لحظة ف لحظة ،
ورصد أية ظواهر غير طبيعية ، ترتبط بها ، على نحو
مباشر ، أو غير مباشر .

التزعزع الرئيس الأمريكي منظره عن عيونه ، وهو يقول
في توتر شديد :

- الأمر شديد الخطورة ، فلا يمكننا أن نسمح لأية دولة
بتهديتنا على هذا النحو ، دون أن نتخذ إجراءً شديد العنف
والصرامة ضدها ، وإلا سقطت هيئتنا الدولية ، وضاعت
مصداقيتنا كدولة عظمى ، تتزعم النظام العالمي الجديد .

عدت مستشارة الأمن القومي كفيها خلف ظهرها ، وهي
تقول ، في حزم واضح :

- إنها ليست دولة .

تطبع إليها الرئيس الأمريكي مستكراً ، فتبعت بنفس الحزم :

- وهي ليست منظمة إرهابية أيضاً .

سألها في حدة :

- وكيف يمكنك الحزم ؟؟

أجابته في سرعة وحزم :

- لننزل ستباي بتفوقها ، والمنظمات الإرهابية لها مطاب
سياسية دوماً ، أما خصوصتنا ، فمطابهم مالية بالدرجة الأولى .

هتف في غضب :

- وأكثر مما ينبغي .. إنهم يظهرون مائة مليار دولار !
هل تكريمن ضخامة المبلغ !!

أجابته في برود :

- نعم .. إنه يقارب ما اعتمده الكونجرس ، كميزانية لحرينا
مع (العراق) ، الذي نجحنا في احتلاله ، دون أن نعفر فيه
على أية أسلحة دمار شامل ، أو

قاطعها في حدة :

- كفى .

ثم تراجع في مقعده ، وراح يحك ذقنه بضغ لحظات ، في
توتر بالغ ، قبل أن يشير بيده ، قاتلاً في عصبية :

- كيف يمكنني إقناع الكونجرس ، بالموافقة على مبلغ كهذا ؟؟

أجابته في حزم :

- سنفكر في وسيلة ما ، إذا ما اضطررنا الأمور إلى هذا .

ثم أشارت إلى التلغراف الضخم ، في المكتب البيضاوي¹⁴ ،
وهي تضيف في صرامة :

(*) اسم يطلق على حجرة المكتب الخاص برئيس لولايات المتحدة
الأمريكية ، نظراً لشكله شبه البيضاوي .

- بعد أن نشاهد ما يمكنهم فعله .

التقى حاجبا الرئيس الأمريكي ، وهو يقول :

- آه .. كنت أسي أمر مكوك الفضاء .

ضغطت زر إشعال التلغز ، وهي تقول :

- وكيف يمكنك أن تتسي أمرا كهذا !!

مط شفتيه ، دون أن يجيب ، وتابع المشاهد على الشاشة في اهتمام بالغ ..

كانت عدسات المصورين تنقل عبور المكوك الفضائي تغلاف الجوى الأرضي ، والنيران الناجمة عن الاحتكاك تحيط به ، وهو يقترب من سطح الأرض ..

ويقترب ..

ويقترب ..

و ..

وفجأة ، دوى الانفجار ..

كان المكوك قد بلغ ارتفاع سبعة كيلومترات ، عن سطح الأرض ، وكل آلات المتابعة تشير إلى أن الأمور تسير على

ما يبرام ، عندما انفجر بقفلة ، أمام عدسات المصورين ، وعيون المتابعين ..

تفجار هائل ، أضواء السماء كلها ، وبدأ أشبه بشمس صغيرة ، لثنية أو ثلاثين ، قيل أن تحيط به سحابة دخان هائلة ، وتنتشر شظاياها على مساحة واسعة للغاية ..

ومع الانفجار ، انفض جسد مستشارة الأمن القومي في عطف ، في حين اعتكف الرئيس الأمريكي بحركة حادة ، صائحاً :

- مستحيل !

كان المشهد رهيباً بحق ، إلى حد لا يمكن تصوره ..

بل كان كارثة مهيبة ، على أي مقياس ..

مكوك فضائي ثلاثي ، في لحظات معدودة ، وعلى متنه تسعة من رواد الفضاء ، الذين احتاج إعادتهم إلى سنوات طوال ، من التدريب والتنسيق ، وبرنامج رفع الكفاءة ..

كانت كارثة أكثر من رهيبة ..

أكثر بكثير ..

ولثوان ، لم يتيسر الرئيس الأمريكي ، أو مستشارة الأمن

القومي بيئت شفة ، وكلاهما يحق في شائسة التفتاز ، بكل
ذعر وذهور الدنيا ، والمنيع يصرخ في الفعل جارف ،
واصفاً ما حدث أمام عينيه ..

ثم فجأة ، هتفت مستشارة الأمن القومي :

- بالتهول !

وهتف الرئيس الأمريكي ، في الفعل عصبي :

- أريد الاجتماع بوزير الدفاع فوراً ، واطلب عقد جلسة
سرية عاجلة للتكونجرس ، في أسرع وقت ممكن .

التقى حاجها مستشارة الأمن ، وهي تقول :

- سأجرى اتصال بوزير الدفاع على الفور ، أما بشأن تلك
الجلسة السرية ، فالأفضل أن تنتظر بعض الوقت ، حتى
تتضح الصورة أكثر ، فإما زال أمامنا سلاح ، لم تلجأ إليه بعد .

سألها في ثوتر :

- أي سلاح هذا ؟؟

قالت في حزم :

- جهاز المخابرات .

ثم عقدت مساعديها أمام صدرها ، قبل أن تضيق فسي
صرامة :

- مخبراتنا .

وكان هذا ينقل الموقف كله إلى أبعاد جديدة ..

أبعاد خطيرة ..

للغاية ..

« لست أصدق نفسي .. »

هتف (قشوي) بالعبارة ، في مرحح بالغ ، وهو يسوِّح
بذراعه كلها ، داخل سيارة (مسي) ، التي تنطلق بسرعة
مرتفعة نسبياً ، في طريقها إلى مدينة (فايد) المصرية ،
فالتصمت (مسي) في هدوء ، أقللة :

- ما الذي لا تصدقه بالتضبط ؟؟

أطلق ضحكة ، صافية قصيرة ، مجيئياً :

- (أدهم صبري) يحصل على إجازة طويلة ! كم طلبناه

بهذا ، عندما كانت الأسور تستخدم لفترة طويلة ، ولم كان

يرفض في إسرار مهذب ، مؤكداً أنه يجد راحته ومنعته في عمله ، وليس العكس .

بنت ابنتها بائنة ، وهي تقول نون حماسة :
- كل شيء يتغير .

الثقت إليها (قدرى) في اهتمام ، وتطمع إليها بضع لحظات في صمت ، قبل أن يسألها :

- أنت لا تشعرين بالارتياح تجاه هذا .. أليس كذلك ؟!

صعدت جامدة بضع لحظات ، قبل أن تومئ برأسها ، دون أن تبس ببنت شفة ، فسألها (قدرى) ، في اهتمام أكبر :

- ما الذي يقلبك ؟!

أجابته في سرعة :

- (أدهم) نفسه .

سألها ، وقد تحول اهتمامه إلى قلق واضح :

- ماذا عنه ؟!

تهافت في صفي ، قبل أن تجيب ، وهي تبلغ بسميتها الطريق الرئيسي ، لمعزى نقاة (السويم) ، في (فايد) ، ثم تحرف إلى اليسار :

- لو أنك شاركته مهامه ، بنفس القدر الذي فعلته أنا ، لأفركت أنه من الصير على مثله ، أن يتوقف فجأة عن القتال والصراع من أجل وطنه ، ويكتفى بممارسة رياضة الصيد ، داخل فيلا صغيرة ، على شاطئ القناة .

قال (قدرى) ، وقد تضاعف قلقه :

- إنها مجرد إجازة .

سأته ، وهي تتطرق في ذلك الطريق :

- هل تعتقد هذا حقاً ؟!

صعدت طويلاً هذه المرة ، وهو يعثد في مجلسه ، ويشرد ببصره ، قبل أن يجيب في حزم :

- كلاً .

لم يتبدل كلامه واحدة إضافية ، حتى بلغ تلك الفيلا الأنيقة ، ذات البوابة البسيطة ، التي تتميز عن غيرها باسم (مصر) ، المحفور على إطارها العلوي ، ويجدار العمر القصير ، الذي يقود إلى شرفتها الأمامية ، والذي حمل عنوان العلم ، وكانما يعن صاحبها مصريته ، ووطنيته ، وزهوه بالانتماء إلى هذا العلم بالتحديد ..

ولقد استقبلهما (أدهم) بنفسه ، بابتسامة ترحاب كبيرة ، وهو يقول :

- حمداً لله على سلامتكما ، من يصدق أن نلتقى هنا ، دون قتال أو صراع !!

شغف (قدرى) :

- نعم .. من يصدق !!

لما (منى) ، فقد صمتت لحظة ، ثم قلت فى بطنى وحزماً :

- أنا عاجزة عن التصديق .

رمقتها (أدهم) بنظرة هادئة ، قبل أن يقول :

- ينبغي أن تبدلى جهداً أكبر إن .

فأدما عبر لعمري المصرية ، إلى شرفة الأمامية ، التي تطلت على مياه القناة مباشرة ، ولم تمض لحظات ، حتى كانت أكواب الشاي الساخن أمامهم ، و(أدهم) يتشم ، قائلاً :

- من المدهش أنسى أمتك هذه القبلا الصغيرة ، منذ ما يزيد على السنوات العشر ، ولكننى لم أفرك جمعتها ، إلا منذ يومين لحسب .. إنها هادئة جداً ، وخفيفة الظل ، و

« ماذا هناك بالضبط !! »

قاطعته (منى) بالسؤال فجأة ، فصمتت بضع لحظات ، وهو يتطلع إلى مياه القناة ، فى شرود واضح ، قبل أن يتلفت إليها ، متسائلاً ، فى هدوء شديد :

- وماذا هناك يا (منى) !!

تطلعت إلى وجهه مباشرة ، وهى تقول :

- أنت تجيب عن سؤالى فى هدوء .

نقل (قدرى) بصره بينهما فى صمت ، وهو يتسائل عما تعنيه (منى) ، التي لم تفسح له مجالاً طويلاً للتساؤل ، وهى تستطرد فى حزم :

- هدوء أكثر مما ينبغي .

بدا قوياً ، وهو يتطلع إلى عينيها ، متسائلاً :

- وما الذى يعنيه هذا فى رأيك !!

مالت إلى الأمام ، فقلت فى حزم :

- أنك تخفى شيئاً .

سألها بنفس الهدوء :

- مثل ماذا !!

قلت في سرعة :

- أخبرنى أنت .

تطع كلاهما إلى عيني الآخر طويلاً ، بعد أن نطقت عبارتها ، ثم لم يلبث (أدهم) أن قطع حبل الصمت ، قائلًا :

- إنك تحمكين الأمور ما يلقى طاعتها يا (منى) .

قلت في حزم وثقة :

- كلاً ..

ثم عادت تميل نحوه ، مستغردة :

- (أدهم) .. أنا أعرك جيداً .. وربما أكثر من لمسى ، ولو أنك لا تخفى شيئاً ، لما شعرت بكل هذا القلق والتوتر في أعصابى .

حاول أن يتنسم ، وهو يقول :

- هل يمكنك قراءة أفكارى ؟؟

« هذا صحيح .. »

جاء الجواب على لسان (قبرى) ، بكل الحزم والجسم ، قبل أن يتابع في حرارة وصداق :

- مع طول الفترة ، اتى قضيتها في جهاز المظاهرات ، لم أر اثنين ، أشد منكما حباً لبعضهما ، إلى الحد الذى تصور معه أن روحكما قد امتزجتا ، وصار كل منكما قادراً على قراءة أفكار ومشاعر الآخر ، دون أن ينبس أيكسا بيئت شفة .

نقل (أدهم) بصره بينهما ، في بظه وصمت ، ثم أدار عينيه إلى مياه القناة ، وراح يتطعم إليهما طويلاً ، وكلاهما يحترم صمته ، ويتطعم إليه في ترقب ، حتى استدار إليهما فجأة ، وقال بمنتهى الحزم :

- نعم .. أنا أخفى شيئاً .

ارتفع حاجبا (قبرى) في دهشة ، وكما لم يكن يتوقع هذا ، في حين هفت (منى) في حرارة :

- كنت وثقة .

وقبل حتى أن تتم هاتفاها ، كان هو يستعرد ، بصراحة الدنيا كلها :

- وإن أفصح عنه أبداً .

سأته (منى) ، في سرعة والاهتمام :

- حتى لأصدقائك ؟؟

أجابها بمنتهى الحزم والحسم :

- حتى لأخي نفسه .

انطلقت من أعرق أعماقها لتهبدة حارة ، وهي تتراجع في مقعدها ، قلقة ، في شيء من الارتياح :

- فهمت .

أدهش أسلوبها وقولها (قدرى) ، الذي تساءل في توتر :

- وما الذي فهمته بالضبط ؟؟

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهي تقول :

- الشيء الوحيد ، الذي يمكن أن يمنع (أهم) ، من مشاركة أصفيك أسدقائه لسره .

تساءل (قدرى) في حذر ، لم يدر هو نفسه سببه بالضبط :

- أي شيء هذا ؟؟

أجابته في سرعة ، وحزم ، والتكضب :

- (مصر) .

ولم تكن تحتاج إلى قول المزيد ..

لقد فهم (قدرى) على الفور ما تعنيه ..

فهمه تمامًا ..

نقلت لزعيمة الغامضة دخان سيجارتها الحمراء في عمق وبطء ، وهي تراجع كل لتقلير ، لواردة من مختلف الجهات ، قبل أن ترتسم على شفتيها ابتسامة ظفيرة كبيرة ، مخمفة :

- عظيم .. كل شيء يسير وفقًا للخطة .. أظننا سنبلغ الهدف ، في الموعد المحدد تمامًا .

ابتسم قائدة قواتها ، وهو يقول :

- المدهش أنهم لم يتوصلوا حتى الآن ، إلى طبيعة السلاح الذي نستخدمه .

نقلت دخان سيجارتها في استمتاع ، وقلت بابتسامة خبيثة :

- اطمئن .. لن يخطر هذا ببالهم قط .. في هذه المرحلة على الأقل .

قلت ابتسامتها محفورة على شفتيها بضع لحظات ، قبل أن تتلاشى فجأة ، وهي تسأل في اهتمام صارم :

- هل عرفتم أين ذهب مستر (X) ؟؟

هزّ القناد رأسه نفيًا ، وقال في توتر :

- لم يظهر في أي مكان بعد ، ولأحد يطم أي شيء عنه .

مطت شفقتها في غضب ، وهي تقول :

- أمر طبيعى ؛ فلا أحد يعرف هويته الحقيقية .. ثم إن

يحتاج إلى بعض الوقت ؛ ليعيد تنظيم صفوفه ، ومحاولة
استعادة سيطرته على الأمور .

ثم العقد حاجباها ، في صرامة وحشية ، وهي تضيف :

- ولا ينبغي أن نمتحه الفرصة لهذا أبداً .

صمتت لحظة ، وهي تفكر في صقى ، وتلفت لخزان

سيجارتها الحمراء في بطنه ، قبل أن تقول في حزم :

- سندفع الخطة إلى الأمام ، لتختصر أربعاً وعشرين

ساعة على الأقل ، من جدوتنا السليق .

تسأل الرجل في قلق :

- لأن يؤذى هذا إلى ..

فأطعته بكل شراسة الدنيا :

- استعد لتلقي الضربة الثالثة ، بعد ساعة واحدة من الآن .

هتف في دهشة مستكثرة :

- ساعة واحدة ؟؟

هبت من مقعدها بحركة حادة ، وعادت تلتفت لخزان

سيجارتها ، وهي تقول في حزم :

- لن نمنحهم جميعاً فرصة للتفكير والتدبير .. سنضرب

ضربتنا على نحو سريع ، متلاحق ، بحيث لربك الكل ، ونشنت

تفكيرهم ، ونجبرهم على اتخاذ قرارات سريعة مرتبكة .

تسأل في عصبية :

- وماذا لو جاءت قراراتهم في غير صالحنا ؟؟

هتفت :

- مع كل ما سيملا قلوبهم من خوف واضطراب ؟؟ أشك

في هذا كثيراً .

التقطت نفساً صيقاً من سيجارتها ، قبل أن تلتقيها بعدد ،

وهي تكلم ، في لهجة أقرب إلى الجنل :

- سنضرب ضربتنا الثالثة ، ثم نعلن عن الهدف الرابع ،

والذي ينبغي أن يكون ضخماً وملحوظاً ، و

بشرت عبارتها بقتة ، دون أي سبب منطقي ، وشردت
ببصرها طويلاً ، وعيناها تتألقان في جذل ، اشترك مع تلك
الابتناسمة على شفتيها ، للإبحاء بأنها تجرى تعديلات
جوهريّة ، في خطتها الكبيرة المعقدة ..

تعديلات ضخمة ..

وقوية ..

ورهيبة ..

إلى أقصى حد ..

ولقد استغرقنا تلك الشرود لحظات ، قبل أن نقول فجأة ،
وهي تتوَّح بسبابتها في الهواء :

- وسيلة إعلان الهدف الرابع لنفسها ، لا بد أن تكون
قوية ومؤثرة ، و

وصممت لحظة ، قبل أن تضيف :

- ومؤثرة للغاية .

قلتها ، وأطلقت ضخمة عابثة جديدة ، يفهمها فقد أوتتها
جيداً ، لذا فقد اعتدل في وثيقة عسكرية ثابتة ، وهو يقول :

- لوامرك أيتها الزّعيمة .

أشعنت سيجارة حمراء جديدة ، وهي تقول :

- استمع إلى جيداً ، ونفذ ما سأمرّك به بالتحرف الواحد ،
ودون مناقشة .

ولأن الرجل يثق بعقليتها ثقة صياء ، فقد استمع
إيها ، وأصت لحديثها بكياته كله ..

وواقع أن لتعديلات الجوهريّة ، التي أجرتها في خطتها ،
كنت بالفعل رهيبة ..

رهيبة ومؤثرة ..

للفجأة ..

رياحين

www.liilas.com/vb3



٤ - أوراق مكشوفة ..

راجع رئيس الجمهورية ، في اهتمام واضح ، تلك التقرير
الواقعي ، الذي قُدِّمه له مدير المخابرات العلية ، قبل أن يرفع
عينية إليه ، قائلًا :

- إن فالأمريكيون يطلبون معرفة مواقف الصعيد (أنهم
صبري) في الوقت الحالي .

أوما مدير المخابرات برأسه ، وهو يقول :

- لقد أدرَكوا أن ما قلناه هو نوع من المناورة بآسيادة
الرئيس ، مما ضاعف من غضبهم ، ونفعهم إلى مطلبنا بتحديد
موقفه الحالي بالضببط ، وموقفنا من عرضهم ، وفي برقيتهم
الأخيرة ، منحونا أسلوبًا واحدًا لنصم الموقف ، وإلا فسيتخذون
إجراءات عنيفة ضدنا .

هتف الرئيس ، في غضب مستلكر :

- إجراءات عنيفة ؟؟ أي أسلوب وقع هذا ؟؟

قال مدير المخابرات في هدوء :

- الأسلوب الذي تميزت به الإمارة الأمريكية الحالية بآسيادة
الرئيس .. تجاربههم وخبراتهم السياسية محدودة ، وندبهم

زهو شديد ، بما تحت أيديهم من أسلحة وقوة ، ويندفعون
لاستخدامها ، أو التلويح باستخدامها ، في كل مواجهة مع
الآخرين ، حتى ولو لم تكن تستحق هذا .

واقفه الرئيس بإيماءة من رأسه ، قائلًا :

- لن ينسى لهم التاريخ أبدًا موقفهم غير القانوني ،
وغير الشرعي ، وغير الأخلاقي أيضًا ، تجاه مشكلة
(العراق) ، فقد ضربوا عرض الحائط بكل المؤسسات
الفتوتية الدولية ، وكل الأعراف والمبادئ ، وتجاهلوا
احتياجات شعوب العالم .. بل وشعوبهم أيضًا ، وأطلقوا
مجموعة من الأكاذيب المفضوحة ، والادعاءات السخيفة ،
لتبرير اندفاعهم لاحتلال أراضي الغير بالقوة ، على الرغم
من مخالفة هذا لكل المبادئ الدولية ..

قال مدير المخابرات في حسم :

- هذا تجاه إلى عسكرة الحضارة بآسيادة الرئيس ،
والتاريخ يؤكد أن كل الحضارات الضخمة ، التي تفوقت
على كل جيرانها ذات يوم ، قد بدأت رحلة الانحدار
والانهيار ، عندما أخذها زهو القوة ، وناشت منها غطرسة
التفوق ، وقررت أن تتهاجم كل من حولها ، وتحتل أراضيهم

بلا رحمة أو هوادة، ولعل أكبر مثال على هذا هو الإمبراطورية الرومانية، التي سادت العالم يوماً، وسيطرت على مقدونيا، والدنمكت تفرض هيمنتها وسطوتها على الجميع، باعتبار أنها قوة ضاربة، لا قبل لأي كيان آخر بمواجهتها، حتى ترعزعت وتزلزلت، وانهارت فجأة، مع ظهور أول قوة منافسة^(*)..

أوما الرئيس برأسه، وهو يقول:

- هذا صحيح، وذلك الشعور براود الجميع، على نحو عجيب، على الرغم من أن كل الشواهد توحي بأن (أمريكا)، بقوتها الهائلة الحالية، يمكن أن تهبط، كقوة استعمارية محتلة، لقرن آخر من الزمان.

هز مدير المخابرات رأسه، قائلاً:

- من يدري !!

صمت الرئيس لحظة، قبل أن يقول:

- نعم .. من يدري !!

ثم أشار بيده، مستطرداً:

(*) حقبة تاريخية

- ولكن، وحتى تنهار الإمبراطورية الأمريكية، نتيجة لما ترتكبه من لغطاء وحقائق، لابد أن تتخذ قراراً حاسماً، بشأن مشكلة الصعيد (أدهم صبرى)، - فمن الواضح أن الأمريكيين لن يقبلوا قط فكرة إرجاء المواجهة، وأنهم يصرون على حسم الأمر، في أقرب وقت ممكن.

أشار مدير المخابرات بسبابته، قائلاً:

- من الواضح أن الإسرائيليين يضغطون عليهم، على نحو أو آخر؛ لأن (أدهم) يعتبر، بالنسبة لهم، العدو رقم واحد.

صغف الرئيس:

- أمر طبيعي.

وصمت لحظة، ثم أضاف:

- وخاصة بعدما فعله بهم، في عملياته الأخيرة^(*).

وعاد إلى صمته، وهو يتجه نحو مكتبه، فقبعة مدير المخابرات ببصره، حتى استقر خلف مكتبه، وهو ضارقي في تفكير عميق ..

ولقد ظل صمت الرئيس وتفكيره ..

(*) رابع قصة (القرى المتشوفة) .. المجلد رقم (١٤٣).

طال ..

وطال ..

وطال ..

ولم يحاول مدير المخابرات أن يقطع بحرف واحد ،
محترماً تلك السمعة ، الذي يشغف عن دراسة عقلية والهيبة ،
لكل ظروف وملابسات الموقف ، تمهيداً لاتخاذ قرار حاسم
بشأنه ، و

وفجأة ، رفع الرئيس عينيه إليه ، وانظراته تحمل كل
الحزم ، والحسم ، والصرامة ، والقوة ..

وبحركة هائلة ، اعتدل الرئيس على مقعده ، قائلاً :

- لن يمكننا أن نفعل هذا .

ثم نهض واقفاً ، وهو يستطرد :

- ومهما كانت النتائج ، فنن نسمح لأية جهة أجنبية ،
بأن تملأ علينا ما ينبغي أن نفعله .

ابتسم مدير المخابرات ابتسامة هائلة ، تحمّل لمحة
إعجاب وتقدير واضحة ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

واصل الرئيس ، وهو يتحرك في حجرة مكتبه بحزم :

- التعيد (أدهم صبري) مواطن مصري ، ورجل مخابرات
لذا ، خدم وطنه وأمه ، وبذل نفسه وجهده ، وجازف بحياته
نفسها في سبيل (مصر) .

ثم التفت نفساً صعباً ، قبل أن يضيف بكل القوة :

- (مصر) لا تتخلى عن أبنائها قط .

ثم يتملك مدير المخابرات نفسه ، وهو يهتف في حماسة :

- سلم قوتك يا سيادة الرئيس .

شد الرئيس قامته في اعتداد ، وهو يقول في حزم :

- أبلغ الأمريكين - رسمياً - رفضنا لعرضهم ، واستكارنا
البالغ لتهديدهم ، واعتراضنا الشديد على تدخلهم في شئوننا
الداخلية ، وأخبرهم أن التعيد (أدهم صبري) ياتي في
موقعه ، ولا توجد أية نية لإقالته .. ليس الآن ، ولا حتى في
المستقبل .

قال مدير المخابرات في حزم :

- سأفعل هذا فوراً يا سيادة الرئيس .

أشار إليه الرئيس بسبأته ، قائلًا :

- هذا ليس كل شيء - .

توقف المدير ، ليسأله في اهتمام :

- ماذا أيضًا يا سيادة الرئيس ؟؟

بدأ الرئيس حازمًا حاسمًا ، وهو يقول :

- اليوم سأصدر قرارًا ، بمنح العميد (أدهم صبري) قلادة النيل ، تقديرًا لشجاعته ، وتقديره في خدمة الوطن .

تأملت حينها مدير المخابرات ، وهو يقول في النهار :

- سيادة الرئيس .. هذا تحدُّ لإرادة الأمريكيين .

أجاب الرئيس ، بكل حزم وصرامة الدنيا :

- بالضبط .

زادت حينها مدير المخابرات تأففًا ، وهو يتكلم إلى الرئيس في صمت يعوج بالاحترام والتقدير ، على الرغم من أن عقله كان يحمل - طواق الوقت - ذلك التساؤل المقلق ..

ترى كيف سيكون رد فعل الأمريكيين ؟؟

كيف ؟؟

« هذه الجلسة سرية .. »

نطق الرئيس الأمريكي العبارة ، في توتر بالغ ، وهو يقف على منصة قاعة اجتماعات الكونغرس الرئيسية ، قبل أن يدير عينيه في وجوه الحاضرين ، ثم يكمل :

- ومن المؤكد أن جميعكم لتساطون ، عن سر عقد هذه الجلسة العاجلة والسرية .. والواقع أيها السادة هو أن لها سببًا مهمًا .. مهمًا وخطيرًا للغاية .. بل وإلى أقصى حد .

جذبت كلماته لتباه الجميع بشدة ، فألوه اهتمامهم التام ، على الرغم من لحظة الصمت التي لا بها ، قبل أن يتابع ، في عصبية شديدة التوضوح :

- أيها السادة .. نحن مهتدون .

أثارت عبارته عاصفة من الهمهمة في المكان ، وفتق أحد أعضاء الكونغرس في غضب :

- ما الذي يعنيه هذا القول المبهم ؟؟

وصاح آخر :

- أهي خدعة جديدة ، نيل استبازات إضافية ؟؟

وهتف ثالث :

- أهي مناورة ، لاتهام تنظيم القذ ...

قائمه الرئيس الأمريكى فى عصبية :

- ما أصاب مكوك الفضاء لم يكن مجرد حدث .

عبارته هذه كانت ناجحة للغاية ، فتم نكد تطلق ، عبر مكبرات الصوت فى الساعة ، حتى تفجرت فيها قنبلة من الصمت ، وكان العيون المتسعة المذعورة ، تتطلع إليه فى تساؤل قلق ، فتابع فى نثر بالغ :

- أظن أن مستشارة الأمن القومى ، هى خير من يمكنه توضيح الموقف كله .

انتقلت العيون كلها إلى مستشارته ، التى نهضت فى نشاط ، واتجهت نحو الميكروفون ، وقلت دون ملفات :

- على الرغم من أننا أقوى قوة ضاربة فى العالم ، فى الوقت الحالى ، إلا أننا نواجه خصمًا مجهولاً ، لم نتجح فى كشف هويته ، أو تحديد طبيعة سلاح ، الذى ينفذ به عملياته بعد .

مرة أخرى ، تفجرت عصفه من الهمة فى المكان ، وطلقت عشرات التساؤلات المذعورة ، عن طبيعة الموقف ، والهوية المحتملة للخصم ، ولكن مستشارة الأمن السمراء أوقلت كل التساؤلات ، بإشارة صارمة من يدها ، وهى تقول :

- نحن نهنئ بالفعل أفسارى جهنما ، للتوصل إلى أية معلومات

ممتنة ، وكان أجهزتنا الأمنية تتحرك بأقصى قوتها وسرعتها ، فى سباق مستعيت مع الزمن ، لكشف كل ما يمكن كشفه .

صمتت لحظة ، ولكن أبدأ فى القاعة لم ينبس ببنت شفة ، وكلما ينتظر الكل ما ستواصل به حديثها ، فتبعت فى حزم :

- ولكن المشكلة أن الخصم لا يمهلتنا الوقت ؛ لمعرفة أى شيء ، مما يثبت أنه محترف ، ونكى ، ويدرك جيداً طبيعة العمل ، فى مثل هذه الظروف ، ولكنه ليس دولة رسمية ، أو حكومة منظمة ، أو حتى تكويناً إرهابياً معروفاً ، ولكنه ، وهذا هو العجيب ، أقرب إلى التنظيم الإجرامى ، وهذا لأن مطالبه قد اقتصر فقط على المال ..

صمتت لحظة أخرى ، أدت عندها خلالها ، فى كل الوجوه تصامته المأخوذة ، ثم استمرت فى بضع مقصود :

- مائة مليار دولار .

طلعت شهقات قوية ، فور نكر المبلغ ، وصاح أحد الأعضاء فى غضب شديد :

- وهل سنخضع لهذا الابتزاز ؟

أجابته مستشارة الأمن فى صرامة :

- أخشى أننا ، وفى الوقت الحالى ، لا نملك خياراً ، نجاء

هذا الموقف .

صاح عضو آخر :

- هل نستسلم إذن ؟! إنها فضيحة !

وهتف آخر :

- أكبر قوة في العالم تستسلم لميتز ١٢ باللعاز !

التفت حاجبا مستشارة الأمن ، وبدا وجهها شرساً قبيحاً ،

وهي تقول في غضب صارم :

- من الواضح أنكم لا تستوعبون الموقف جيداً أيها

السادة .. خصمنا ، أيًا كانت هويته ، نجح - خلال الأيام

القليلة الماضية - في توجيه ثلاث ضربات ، باللغة القوة

والعنف ، لثلاثة أهداف باللغة الخطورة ، في أماكن مختلفة ،

فقد سحق تماماً المنطقة العسكرية التاسعة والأربعين ، ثم

نسف مكوك الفضاء ، أمام عتبات المصورين ، قبل دقائق

قليلة من هبوطه ، ومنذ أقل من ساعة واحدة ، أقل من

الوجود منشأة كيماوية ، كنا نعتبرها من أبقى أسرارنا

العسكرية .

وشدت قامتها ، وهي تواصل بمنتهى الصرامة :

- باختصار .. خصمنا يعرف هنا كل شيء ، وتجهل عنه

كل شيء ، ولديه سلاح خطير إلى درجة ملزعة ، مرعبة ..

أعلم أن بعضكم سيتهمنا بالإهمال والتقصير ، والبعض

الأخر سيضجونا بمحاضرات فلسفية ، حول ضرورة التصود

والتصدى ، وفائدة عدم الاستسلام للمبتزين ، ولكن دعوني

أشير بكل هؤلاء ، وأخبركم جميعاً ، دون أنسى تحفظ أو

تجميل للأمر ، أن موقفنا ضعيف للغاية .. بن وخطير إلى

أقصى حد أيضاً ، قضى هذه اللحظة لتلقى خصمنا أهدافاً ذات

طابع خاص ، فربعضها لا يعلم به أحد ، والبعض الآخر قد

يشير تمعيره الشجون والحزن والأسى ، ولكنه لن يوهى

بوجود سبب خارجي مقصود ، مثلما حدث لمكوك الفضاء ،

ولو أننا رفضنا تنفيذ مطالبه الآن ، فربما ينتقل إلى مرحلة

جديدة ، يوجه فيها سلاحه إلى أهداف واضحة ومشيرة

للاهتمام والانتباه ، وعندئذ سيضعنا في موقف يتألم العرج ،

وربما يتكاتف معه ضعفنا ، في مواجهة خصم مجهول ،

وتتهار مع هيتلر ، داخلياً وخارجياً .

تهض أحد الأعضاء القدامى ، يسأل في حدة :

- هل نطلبون اعتماد مئة مليار دولار ، لتلقيها في ميتز ؟!

أجابته المستشار ، في سرعة وحزم :

- ليس هذا فحسب ياسيناتور ، ولكننا نطالب بأن يتم

هذا بأقصى سرعة ممكنة أيضاً .

هاتف عضو قديم آخر ، من حزب معارض :

- مستحيل ان نوافق على مبلغ كهذا ، دون قلة كافية ،
للتقديمه إلى ميتر .

صاحت به مستشارة الأمن :

- إنكم ستوافقون على اعتماد المبلغ ، حفاظاً على هبة
(أمريكا) ، وليس من أجل ..

« دعيني أساعدك على إقناعهم .. » ..

تطلق الصوت بغتة ، من خلف ظهر مستشارة الأمن
للقومي ، في نفس اللحظة التي أضيت فيها تلك الشاشة
الكبيرة ، التي تستخدم لعرض مشروعات الحكومة ، فاستدارت كل
العيون إليها بحركة واحدة ، والتعد حاجبا مستشارة الأمن
للقومي في شدة ، وانطلقت بعض التهليلات من الحاضرين ،
في حين هاتف الرئيس الأمريكي ، بكل عصبية الدنيا :

- يا لك

لم يتم عبارته ، ولكنه حدق كالأخرين في صورة تلك
المرأة الفتاة ، التي بدت على الشاشة ، وهي تمسك
سيجارتها الحمراء في أنفة ، وتثقت بظلماتها في عيني ،

وعلى شفقتها ابتسامه ساخرة مخيفة ، وضوتها العاليت
يقول متابعاً :

- فهؤلاء السيناتورات ضيقو العقول ، ويحتاجون إلى
وسيلة إقناع قوية .

امتألت نفس مستشارة الأمن القومي بالغضب ، فهتفت
برئيس طاقم أمنها ، وهي تقول في عصبية :

- هذا البث يتم من داخل مبنى الكونجرس ؛ فهذه الشاشة
ترتبط بدائرة مغلقة .. انتشروا في المكان ، وراجعوا
خريطة شبكة البث ، و

ققطعها لصوت على شاشة بقعة ، وصاحبه تقول ساخرة :

- لا تشغلي نفسك كثيراً يا عزيزتي ، بالبحث عن نقطة
البث ، فما ترتينه أمامك مجرد شريط مسجل ، يتم بثه من
انقطة (W - 64) ، ونقد تم تلغيم شبكة البث ، بحيث
تتفجر كلها ، مع كل ما يحيط بها ، عند أية محاولة لإيقاف
البث ، أو اقتراح الشريط .

ثم هزت كتفيها في استهزاء ، ونفثت دخان سيجارتها في
عيني ، قبل أن تتابع ، بنفس التهجة الساخرة :

- ليس أمامكم إن سوى الاستماع إلى ما أقول .

وتبذلت لهجتها بقتة ، لتحمل قدرًا مبالغًا من الصرامة
والوحشية ، وهي تضيق في شراسة :

- والخضوع لما أمركم به .

اتسعت عيون كلها في ارتياح مذعور ، ولكن أحدًا لم
يتهمس ببنت شفة ، في حين غمغت مستشارة الأمن القومي
في غضب :

- هناك جاسوس في البيت .

ثم استدارت إلى قائد فريق أمنها ، مستطردة :

- ذلك الشريط المسجل «يمحو نفسه بالتأكيد ، في نهاية
العرض ، وإلا لما ظهرت هذه الحقيبة أسلما بوجه غير هكذا ..
لذا أريد منكم أن تتفطروا صورها عن هذه الشاشة ، وترسلوها
فورًا إلى المخابرات المركزية ، لتعديد هوية المرأة .

مع قولها هذا ، كانت الزاعمة تكلم ، على شاشة العرض :

- الأهداف التي تم تعبيرها ، حتى هذه اللحظة ، كانت مجردة
وسيلة لتقديم أنفسنا إليكم .. إلى الحكومة ، والمستولين
العسكريين ، والسياسيين .. أما الأهداف القائمة فستتقدم
إلى قسامين .

توقفت لتتفث دخان سيجارتها في بطء متعمد ، قبل أن
تتابع :

- فلكي أساعدكم على تخلا القرار ، دون جدل عقيم ، أو
مناقشات طويلة ، لا طائل منها ، قررت أن أمتلحكم ثماني
وأربعين ساعة فحسب ، لإعلان موافقتكم على دفع المبلغ
المطلوب ، والموافقة على كل شروط تسليمه ، وبهذا
بشائية واحدة ، سيتم نسف هدفين أساسيين : تمثيل
(أبراهام لينكولن) ^١ في (واشنطن) ، وتمثيل الحرية في
(نيويورك) .

شهق الأعضاء في رهب ، مع ذكر الهدفين القادمين ،
الذين يعتبرهما الجميع رمزًا لتلايات المتحدة الأمريكية ،
واتسعت عيون الرئيس الأمريكي في ارتياح ، وهو يتخيل
الموقف ، وتأثيره الرهيب على عملية إعادة انتخابه ، في
حين غمغت مستشارة الأمن القومي في حدة :

- لا بد أن نلظر بهذه الحقيبة .. لا بد .

(*) أبراهام لينكولن (١٨٠٩ - ١٨٦٥ م) : الرئيس السادس عشر ، لتلايات
المتحدة الأمريكية ، علم نفسه طوق حوالة ، ومراس لهجمات بعض الوقت ، أصبح
رئيسًا في عام ١٨٦٠ م ، وارتبط اسمه بالحرب الأهلية ، وإلقاء لهوية والرق ،
ويعتبر رمزًا للشهامة ، في تاريخ (أمريكا) كله .

أما الزعيمة ، فقد استظرت في لهجة توحى بالعبث
والاستمتاع :

- أعلم أن هذا سيرجكم بالطبع ، أمام الشعب الأمريكي
كثي ، ولكنها مجرد البداية ، فبعد اثني عشرة ساعة
فحسب ، ولو استمر عنادكم ورفضكم ، سأرفع عدد الأهداف
إلى ثلاثة ، وسأزيد من الوجود ، في لحظة واحدة ، تبيت
الأبيض ، ومبنى لينتاجون^(*) ، ومبنى المعارف المركزية
في (لاتجلى) بولاية (فرجينيا) .

شجيت الوجوه بشدة ، مع تهديدها الأخير ، وشهق
الريس الأمريكي ، وهو يهتف :

- البيت الأبيض !! مستحيل !

ومع قوله ، كانت الزعيمة تطلق ضحكة طويلة عابثة ،
على شاشة العرض ، وكأنها تستمتع بكل حرف نطقت به ،
ثم ألفت سيجارتها ، ذات اللون الأحمر المستقر جائبًا ، في
استهتار واضح ، وهي تقول :

- وتوفيرا لوفتكم الثمين ، وحتى لا يضيع الكل وقتهم ،
في فحص الشريط ، والسعي لتحديد هويش ، دعوني أخبركم
بكل الموضوع ، أن اسمي هو (لوراكليرمان) ، وليست
(*) لينتاجون ، مبنى وزارة الدفاع الأمريكية .

لديكم أية ملفات سابقة علي ، ولكم ستعثرون حتماً على
كل البيانات ، التي ذكرتها في طلب تأشيرة الدخول إلى
أرضكم الطفيفة ، التي تمنح المرء فرصة مذهشة للهو
والتعيزر .

قالتها ، وعادت تطلق ضحكة عابثة طويلة ، خملت رنة
وحشية مخيفة ، تجمعت لها السماء ، في عروق الجميع ،
وهي تلهض من مقعدها الوثير ، ونهم بالابتعاد عن مجال
الرؤية ، و

« مهلاً .. »

نطقتها الزعيمة على الشاشة فجأة ، قبل أن تعود إلى
مجال الرؤية ، مشيرة بسبابتها ، وهي تكمل :

- مازال هناك أمر ، لم أذكره بعد .. فلي حالة موافقتكم
على تنفيذ مطالبتي ، واعتمادكم للمبلغ المتواضع ، الذي
ستتعاونون به كرامتكم وهويتكم ، وهو ما لا أشك فيه لحظة
واحدة ، سيكون لي شرط أخير .. شرط لن أتنازل عنه
أيذا .

وأمام عيون الجميع ، ولحت سمعهم وبصرهم . ألفت
الزعيمة شرطها الأخير ..

ولم يستوعب أعضاء الكونجرس ما الذي يمكن أن يعنيه هذا !!

ولكن الرئيس ، ومستشارته الأمنية ، ووزير دفاعه ،
ومدير المخابرات المركزية الأمريكية استوعبوا الأمر ..

استوعبوه ، وأنزكوا أن تلك الزعيمة الغامضة قد تمكنت
بالفعل ..

وإلى أقصى حد ممكن .

رياحيين

www.liilas.com/vb3



٥ - انقلاب ..

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت الساعة صباحًا ، بدقة
أو دقيقتين ، عندما وصلت سيارة مدير المخابرات الغامضة
المصرية ، إلى مقر رئاسة الجمهورية ، وغادرها المدير
على عجل ، متجهًا إلى مكتب الرئيس مباشرة ، ولم يكذب
بذلف إليه ، حتى اتبته إلى رجل أجنسي الملامح ، أتيلق
العليس ، واضح التوتر ، قومه إليه الرئيس ، قائلًا بلهجة
خاصة ، يدرك كلاهما مفرًا جيدًا :

- (الآن راكوب) .. من المخابرات المركزية الأمريكية .

صافح مدير المخابرات ذلك الأمريكي ، في تحفظ واضح ،
وهو يتساءل :

- ترى ما سر هذه الزيارة المفاجئة .. والمبكرة جدًا !!

قال الأمريكي ، وتوتره ينعكس على صوته في وضوح :

- نحن نعلم أن سيادة الرئيس يبدأ يومه مبكرًا جدًا .

سأله المدير في برود :

- وهل أخبرتكم تقاريركم ، أن سيادة الرئيس يميل إلى

الزيارات المفاجئة أيضًا !!

ابتسم الرئيس ، عندما احتقن وجه الأمريكي ، وقال في عصبية :

- يقولون في عقولكم : إن الضرورات تبيح المحظورات .

ثم المدير بإلقاء سؤال آخر ، ولكن الرئيس أشار بيده ، قائلًا بالإنجليزية :

- السيد (راكويل) هنا ، بشأن العميد (أدم) .

تعدت حاجبا المدير ، وهو يقول بالإنجليزية في صرامة :

- لقد أرسلنا إليكم ردًا رسميًا ، في هذا الشأن .

بدأ غضب عصبى ، على وجه الأمريكي ، في حين تراجع الرئيس في مقعده باسترخاء ، قائلًا :

- السيد (راكويل) هذا ليسبب آخر تعاملًا ، خلاف ما جاء زمينه من أجله فيما مضى .

أطلق التساؤل من عيني مدير المخابرات ، فجففت الأمريكي عرقًا وهميًا عن جبهته ، قبل أن يقول في عصبية :

- إننا نريد رجلكم (أدم صبرى) .

ثم يفهم المدير ما يعنيه هذا ، فتساعل في حذر :

- تريدونه ؟ ما الذى تعنيه بقولك هذا بالضبط ؟؟

روايات مصرية تجيب .. رجل المستحيل

تسعت ابتسامة الرئيس ، وهو يقول :

- الأمريكيون يطلبون مساعدة رجلنا ، لتعبيد (أدم صبرى) ، بشأن مشكلة يعالونها .

تفجرت الدهشة في كيان المدير ، وهو يتطع إلى الرئيس ، الذى بدأ مزهواً إلى حد ما ، وهو يشير بيده - مستطردًا :

- السيد (راكويل) يرفض الإصباح عن طبيعة المشكلة ، ولكنه يؤكد أنه ما من سبيل إلى حلها ، سوى الاستعانة برجلنا .

غضب المدير ، وهو يخفى دهشته العارمة في أصغاره :

- حقًا !؟

ثم استعاد رصانته وحزمه بسرعة ، مع استطرادته ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره في حزم :

- لو أنكم تواجهون مشكلة ما ، تحتاج إلى تعاوننا ، فليكم طلب هذا رسميًا ، وعلى نحو تنظيمى صحيح ، فكل ما يمكنكم طلبه هو تعاون المخابرات المصرية ، وعلينا نحن أن نقرر ، من من رجالنا يصلح للمهمة ، و...

قاطعه الأمريكى في عصبية :

- إن يصلح لهذه المهمة سوى رجلكم (أدم صبرى) .

لجانبه المدير في سرعة :

- ونحن نعتذر عن إعارتكم إياه ، فنظّمنا وقواتنا لمنع خروج أحد رجالنا ، في مهمة خارج الحدود ، لحساب أية دولة أخرى ، وخاصة عندما يحيط الغموض بتفاصيل تلك المهمة ، أو ملتها ، أو الهدف منها .

تضاعفت عصبية الأمريكي ، وهو يقول :

- ولكن أوامري تمنع ...

قاطعه الرئيس هذه المرة ، بمنتهى الحزم والصرامة :

- لقد سمعت ما قاله مدير جهاز المخابرات العامة .. وهذا ربما انتهى .. إما أن نعزم لعماداً تريدون الاستعانة برجالنا ، أو تعود إلى وطنك برد سلبى حاسم .

بنت الحيرة واضحة ، على كل خليفة من خلفات رجل المخابرات الأمريكي ، الذي تلفت حوله في عصبية ، وغمر العرق الجلود وجهه ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- لا بد لي من الاتصال برؤسائي أولاً .

أشار الرئيس إلى هاتفه الخاص ، قائلاً :

- ومن منعك من هذا ١٢

جفأ الأمريكي عرفه الغزير ، بكل توتر الدنيا ، وهو يلتقط سماعة هاتف الرئيس ، قائلاً :

- محترمة .. لمت مخلوفاً لاتخاذ القرارات ، على هذا المستوى .

لم يستغرق حديثه مع رؤسائه سوى دقائق قليلة ، على نحو يوحي بأنهم كانوا يتوقعون هذا الموقف المصري ، بدليل أنه لم يكذب ينهي المحادثة ، حتى التفت إلى الرئيس ومدير مخابراته ، قائلاً :

- فرؤساء وافقوا على إطلاقكم على كل شيء ليها السادة ، وينشدونكم الإبقاء على الأمر سرّاً ، وطناً للثمن الثم .

مصطنح (ينشدونكم) هذا ، كان يوضح تعامساً الاختلاف الموقف الأمريكي ، والقائمه رأساً على عقب ، لذا فقد أشار الرئيس بيده ، وهو يقول في حسم :

- لكم هذا .

وهنا ، تتحلج مندوب المخابرات الأمريكية ، وبدأ يروي للرئيس ومدير مخابراته كل شيء ..

بكل التفاصيل ..

بلا استثناء ..

« كم أبيض هؤلاء العرب .. »

نظمت مستشارة الأمن القومي الأمريكية العبارة ، بلهجة
حمنت كل مقت الدنيا ، وهي تلفت داخل المكتب البيضاوي
لرئيس الأمريكي ، في قلب البيت الأبيض ، فلوح وزير
الدفاع بيده ، وهو يقول في حدة :

- ليس هذا وقت إبراز المشاعر الشخصية .. كل دقيقة
لها ثمنها الآن ، وليس من حقا أن نلشغل بأمر شخصية ،
والوقت يمضي على هذا النحو .

مطت مستشارة الأمن شفتيها في مقت ، وهي تقول :

- ولكنها الحقيقة .. أنا أبيضهم بشدة ، منذ .. منذ ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، فقل مدير المخابرات ، في
خضب صارم :

- دعني أخبرك أنا منذ ماذا ! منذ خذلك عربين ، وقعت
في غرامه ، في أثناء فترة دراستك الجامعية .

احتقن وجهها بشدة ، وهي تهتف :

- إنني لم ألق أبداً في ...

قاطعها مدير المخابرات في حدة :

- أمن الضروري أن أخبرك باسمه ، وجنسيته ، والوظيفة
التي يشغلها في دولته حاليًا ؟!

عضت شفتها السفلى في غضب ، قيل أن تقول :

- كلاً .. ليس من الضروري أن تعلق .

هتف الرئيس الأمريكي في حدة :

- كيف بدأت هذا الحديث السخيف ؟! ما شأن بغضك
للعرب ، بما نواجهه الآن ؟!

لوححت بذراعها ، قتلقة :

- تلك الحقيرة اشترطت أن يكون ذلك المصري ، الذي
أفردنا نواته بضرورة التخص منهُ ، هو المفاوض الرئيسي ،
في العملية كلها ، مما اضطرنا إلى الانضاء أمام المصريين ،
والسعي للاستعانة برجلهم ، الذي أذل ناصية أصدقائنا
الإسرائيليين .

قال الرئيس في غضب :

- ونحن مضطرون لقبول شرطها ، كما اضطرنا للموافقة
على دفع مائة مليار دولار لتلك الحقيرة ، حتى لا تسقط
هيبتنا أمام العالم كله .. وهل تعرفين لماذا اضطررنا إلى

هذا وذلك !! لأن أجهزة الأمن هنا تمتلك شهرة ، تفوق قدراتها الطبيعية والقوية ، حتى إنها عجزت تمامًا عن كشف هوية تلك المتهمة ، وموقعها ، وطبيعة سلاح الذي تستخدمه ، ووسيلتها في استخدامه .. وما نمنا لنقترب إلى المعلومات ، على هذا النحو المغزى ، فنيس أماننا سوى الاستسلام خفية ، حتى لا نضطر إلى الاستسلام علانية في المستقبل القريب .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، وهو يقول في توتر :

- إننا نواجه محترفين يأسده الرئيس .

صاح به الرئيس الأمريكي :

- كنت أظنكم أيضا محترفين يا هذا .

شد مدير المخابرات قامته في توتر ، وهو يقول :

- رجائي يعملون ليل نهار يأسده الرئيس ، وبعضهم لم يبق لتوم ، منذ أكثر من يومين .

سأله وزير الدفاع في عصبية :

- وما الذي توصلوا إليه ، بعد كل هذا !!

أجابه مدير المخابرات في سرعة :

- أنها كاذبة محترفة .

هاتف الرئيس الأمريكي ، في لهجة استنكارية :

- كاذبة !! أخذا كل شيء !!

حاول مدير المخابرات المركزية الأمريكية أن يتجاوز عبارة الرئيس ، وهو يواصل ، قللاً :

- ربما تكون قد دخلت إلى البلاد ، منتحلة شخصية (نورا كبرمان) بالفعل ، فقد عثرنا على بيانات هذه الأخيرة لدينا ، ولكنها حتماً ليست هي ، فخير لانا يؤكدون أنها ترتدي قناعاً مطاطياً بالغ الرقة ، وشديد الإلتقان ، وأنها تعتمد إخفاء شخصيتها الحقيقية لسبب ما ، هو أنها - على الأرجح - شخصية معروفة ، في عالم الجريمة ، أو عالم الجاسوسية .

سأله وزير الدفاع في اهتمام :

- هل ينق خبرلاك بهذا الرأي !!

واصل مدير المخابرات ، وكأنه لم يسمع السؤال :

- أما قصة شريط الفيديو ، الذي سينسف شبكة البث الداخلية ، لو تم إيقافه أو لتزاعه ، فهي كاذبة وملففة من أساسها ، ولكنها شديدة البراعة ، إلى حد مذهل ..

قلت مستشارة الأمن القومي شفتيها ، فكتلة في امتعاض :

- كاذبة ، ومملقة ، وشديدة البراعة !! أي قول مريض
هذا !!

رملها مدير المخابرات بنقرة صارمة ، وهو يقول :

- مارليتموه ونابعضوه ، على شاشة العرض ، في قاعة
اجتماعات الكونجرس ، لم يكن شريطاً مسجلاً .

اتسعت عينا الرئيس الأمريكي ، وفقر فاه على نحو
عجيب ، في حين وثب وزير الدفاع من مقعده ، هاتفاً :

- لم يكن ماذا !!

أما مستشارة الأمن القومي ، فقد انقلبت سحنتها في
غضب ، وهي تهتف في حدة :

- ما الذي تخفيه بقولك هذا !!

أجابها في صرامة :

- مارليتموه كان بثاً مباشراً .

ثم قسا صوته ، وهو يضيف :

- من داخل مبنى الكونجرس نفسه .

بدا قوله هذا تشبه بصاعطة ، هوت على روعس الجميع ،
فاتسعت عيونهم عن آخرها ، وحذقوا في وجه مدير المخابرات
في ذهول ، قبل أن تهتف مستشارة الأمن القومي في حدة :

- هناك جاسوس في العبسى .

أجابها مدير المخابرات في حزم :

- الأمر أكثر من مجرد جاسوس ، فأجهزة الفحص
الإلكترونية لم تسجل دخولها ، ومرافق البث الرقمي لم
يترك وجود بث حتى ، والحجرة التي تم البث منها ، لم تعمل
آلات المراقبة فيها ..

والتكلم نفساً عميقاً ، قبل أن يتابع :

- بالختصار .. كانت هناك سيطرة إلكترونية تامة على
العبسى ، ولقد أبعثت هي نظرنا عليها ، عندما أوهمتنا بأننا
نشاهد شريطاً مسجلاً .

اندفعت مستشارة الأمن القومي نحوه بغثة ، وأمسكت
ساعده في قوة ، حتى كانت أصابعها تغوص في لحمه ،
وهي تهتف :

- لا بد أن نظفر بهذه اللعينة .. هل تفهم !!

أراح الرجل يدها بحركة حادة ، وهو يقول :

- وكيف أيتها البارعة !!

صاحت في حلق :

- لبحث عن وسيلة .. أية وسيلة !

قال في غضب :

- وما الذي تظلمينا لفعله !!

صاحت :

- لئلا كان ما تفعلونه ، فينبغي أن تضاعفوه ، وإلا استيقظنا
ذات صباح ، نجد أن تلك الحظيرة قد سيطرت على مقلد الأمور .

هز مديرة المخابرات رأسه في قوة ، قائلاً :

- مستحيل ! إنها تحصل على ماتريد ! لأنها تدققنا إلى

الثلاث لحسب ، بحيث لا نجد الوقت الكافي ، للسعي خلفها ،
ومحاصرتها بمعلوماتنا وتحركاتنا ، ولكننا نمنعها المال ،
لتربح بعض الوقت ، الذي سنستغله في معرفة هويتها ، وجمع
كافة المعلومات عنها ، بحيث ننقض عنها في الوقت
المناسب ، قبل أن تستمتع بما ستحصل عليه منا .

سأله الرئيس فجأة :

- السؤال هو : كيف ستحصل عليه منا !!

استدار الجميع إليه ، غير مستوعبين طبيعة سؤاله ،

فاستطرد في توتر ملحوظ :

- هل تفكر أحدكم حجم الفراغ ، الذي يمكن أن يحتله

مائة مليار دولار !!

غصم وزير الدفاع ، وهو يدير عينيه فيما حوله :

- أظنها تحتاج إلى حجرة كهذه .

أجابته مديرة المخابرات في سرعة :

- هذا لو طلبتهم نقداً .

سأله مستشارة الأمن في عصبية :

- ماذا تعني !!

أجابها بنفس السرعة :

- أعني أنها محترفة ، وبشرك جيداً أن القفود يمكن تتبّعها

بأية وسيلة ، لذا فمن تغلب الحصول على المبلغ أيضاً ، في

شكل أودق نقدية .

سأله الوزير في اهتمام :

- كيف ستحصل عليه إن ٢٢ ؟

أشار مدير المخابرات بسببته ، مجيباً :

- من التلمية الاحترافية للبحث ، لا يوجد أفضل من الماس .

اعتدل الرئيس في مقعده ، مستثلاً في اهتمام بالغ :

- حقاً ؟

أجابته مدير المخابرات في حزم :

- الماس التقى صغير الحجم ، باهظ الثمن ، وحفنة واحدة

منه ، قد تساوي ملايين الدولارات ، أي أن حقيبة من الماس شديد الثغارة ، قد تساوي المبلغ كله .

بدت مستشارة الأمن القومي شديدة الالفعال ، وهي تقول :

- حقيبة واحدة ؟؟

لوماً مدير المخابرات برأسه إيجابياً ، وقل :

- نعم .. حقيبة بسيطة ، لا تفتت الانتباه إليها أبداً ، في

مكان مزدهم برجال الأعصاب ، مثل (وول ستريت) .

صغت الجميع تعاماً ، بعد عبارته الأخيرة ، وتهاكفوا

نظرة طويلة ، قبل أن تقول مستشارة الأمن القومي في صرامة :

- لو أن هذا هو الحل الاحترافي الوحيد ، فلم لاستعد لمواجهته بالفعل ؟؟

سألها مدير المخابرات في اهتمام :

- وكيف هذا ؟؟

أجابته في توتر :

- بأن نعدّ الحقيبة على الأقل ، ونزودها بجهز تعقب إلكتروني ، و... .

فأطعها مدير المخابرات ، قائلًا :

- هراء .

استدارت إليه بحركة حادة غاضبية ، ولكنه تجاهل لفعالها تعاماً ، وهو يقول :

- استخدام حقيبة مزودة بجهز تتبع ، مع امرأة نجحت

في السيطرة على النظام الأمني الإلكتروني ، بالغ الثقة

والعدانة في الكونجرس ، أشبه بمحاولة الانتحار بمسيف

صدئ .. كثير من الأثم ، وقليل من النتائج .

قالت المستشار في خلق :

- وما الذي تلتزمه أنت إن ، يا عفرى العبقرة !!

أشار مدير المخابرات بسبأته ، وهو يجيب في سرعة :

- لقمع الصاعى .

تألفت عينا مستشارة الأمن ، وهي تهتف :

- آه .. بالطبع .. كيف نسيتنا هذا؟! إنا نستطيع تتبع

خط سير حقيبة الماس ، بواسطة أقمارنا الصناعية

للتجسس .. إنها قادرة على تحديد لون الملابس الداخلية

لأى شخص ، في أى مكان في العالم ، و...(*)

قاطعها مدير المخابرات ، في سفرية متعمدة :

- وهل صدقت هذه الدعاية ، بامستشارة الأمن القومي

البارعة؟! المفترض منها أن ترهب خصومنا ، لأن

تصدقها نحن .

عاد وجه مستشارة الأمن يحتلن ، وهي تهتف :

- أيتها الـ ...

(*) قبل حرب (العراق) الثانية ، أخذت الولايات المتحدة الأمريكية ، أن تمارها الصناعية للتجسس ، قدرة على معرفة لون الملابس الداخلية لرايين العراق ، وفي أثناء الحرب فُلتحت حتى في العثور على الرايين نفسه .

قاطعها لرائيس الأمريكى ، وهو يضرب سطح مكتبه

ببراحته ، ويهبط من مقعده بحركة حادة :

- كفى .

صمت الجميع ، والتفتوا إليه في توتر ، فتابع في

غضب :

- أشعر وكنتى في حجرة ، تضم بعض أطفال مرحلة

العضائية ، ورائيس كبار المسئولين في الدولة !! إنكم

تتشاجرون وتتشاحنون ، حول تفاهات سخيفة ، في الوقت

الذى تواجه فيه البك أخطر كارثة ، في تاريخها كله .

اعتلن وجه وزير الدفاع ، وعظمت مستشارة الأمن

حاجبها في توتر ، في حين ارتبك مدير المخابرات

المركزية ، وهو يقول :

- معذرة بامسيادة لرائيس .. لم تكن نتشاحن في الواقع ،

وتكلى كنت أظرح لتراتخا خاصا بالأقمار الصناعية ،

و...

بتر عبارته بقتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن

يحتلن وجهه ، ويهتف بكل الفعال الدنيا :

- سيادة لرائيس .. لقد عرفت ماهية سلاح ، الذى تستخدمه

فصممتنا ، لتوجيه ضرباتها الساحقة .. يا إلهي ! لقد عرفته
بالعمل .

وكانت مفاجأة حقيقية للجميع ..

مفاجأة قوية ، وضيقة ..

للغاية ..

رياحين

www.liilas.com/vb3



٦ - الرحلة العجيبة ..

« ما أروع الحياة هنا ! »

هاتف (قندري) بالمعبرة ، في استمتاع كبير ، وهو
يسترخي على مقعد شاطئ وثير ، أمام مياه القنطرة ، ويلتهم
شطيرة سالخنة ، وإلى جواره طبق يمتلئ بالشطير المعاللة ،
وزجاجة مياه غازية ضخمة ، من الطراز المخصص
للاستخدام العائلي ، ثم التحدث نفساً صيفياً ، ارتفع معه كرشه
الضخم ، فريئت عليه في رفق ، مستظرفاً في حرارة :

.. تست أقرى لماذا لم تكذا إني هنا من قبل يا (أدهم) ،
ما صنعت تمتك العكان منذ ما يقرب من عشر سنوات ،
كما تقول !!

كان يتوقع ردًا على تساؤله ، إلا أن (أدهم) لم ينبس
ببنت شفة ، وهو يجلس على مقعد مجاور له ، متطلعًا إلى
مياه القنطرة ، في شرود عوييب ، فأعقل يسلكه مرة أخرى :

.. (أدهم) .. هل ..

أسسكت (مسي) يده فجأة ، لتمنعه من الاستطراد ، وهي
تقول في خفوت ، حمل قدرًا ملحوقةً من الحزم :

.. اصصت يا (قندري) .

انفتحت إليها (قدرى) فى دهشة ، فتأهت بحزم أكبر :
- تركه لحاله الآن .

لاذ الاثنان بالصمت التام ، وهما يراقبان (أدهم) ، الذى
بدا وكأنه قد انفصل تمامًا عما حوله ، وغرق بكلامه كله فى
لجة من الأفكار ، وعيناه تنظعان إلى مياه القناة ، فى
صمت شارد عميق ..

ولقد ظل صمته ..

وطال ..

وطال ..

ولكن أحدهما لم يذم ببنت شفة ..

كلاهما راح يراقبه ، فى اهتمام مزوج بالقلق والتعاطف ،
وكأنهما لم يرياه أبدًا على هذا النحو ..

(منى) بالذات ، كان قلبها ينظر من لحيته ..

كان يتعجب ..

ويشأم ..

ويبكي ..

وعبر جسدها كله ، انطلقت دموع قلبها تسرى فى
عروقها ، وتلتهب معها كل خلية من خلاياها ، حتى تمت
لو أنها تستطيع أن تنقل كل أحزانه وأتراحه إليها ؛ لتراه
مبتسمًا حيويًا ، كما عهدته دائمًا ..

فمنذ استضافتهما فى فيلته الصغيرة ، وعلى الرغم من
اهتمامه البالغ ، بتوفير كل سبل المتعة والراحة لهما ، ومن
أحيانهما الطويلة ، التى كانت تستمر فى بعض الأحيان ،
حتى مطلع الفجر ، أو حتى يرتفع شخير (قدرى) ، ليطلق
على كل ما حوله ، كانت تشعر أنها لا تجلس مع (أدهم
صبرى) الذى تعرفه ..

ليس مع ذلك الرجل ، الذى تتلجر الحماسة دومًا من كل
خلية فى جسده ، وتتألق الحيوية طوال الوقت ، وهى تظن
من عينيه ..

ليس ذلك البطل ، الذى ظلت مبهورة به ، طوال فترة
عملها كلها معه ..

إله الآن شخص آخر ..

شخص يتسهم شفتاه ، على الرغم من محيط الحزن
والأسى ، الذى يفرض من عينيه ..

شخص يحمل هموم الدنيا كلها فى صدره ..

فى عقله ..

فى قلبه ..

وفى كيانه كله ..

ومن الواضح أنه يخلق فى أعماقه سرًا كبيرًا ..

سرًا يتعلق بمشوقته الأولى ..

(مصر) ..

سرًا يرفض الإفصاح عنه ، حتى لها أول (قدرى) ..

ويائه من سر !

رباه ! كم تحبه !

كم تتعذب وتتمزق من أجله !

كم تتعنى لو تمنحه سعادة الدنيا كلها ، حتى تمحو من

قلبه كل ما يلوء به من عذابات وأحزان ..

وبكل حب وحنان وأسى ولوعة الدنيا ، تطغمت إليه فى

صمت ، وقلبها يخلق من أجله ..

ويخلق ..

ويخلق ..

و....

« هل تعلمون كم مرة عبرت فيها مياه هذه القناة ؟! »

نطقها (أدهم) فجأة ، وهو يواصل التطلع إلى مياه
القناة ، فالتفت جسد (منى) ، وكأنه قد انتزعها من سبات
عميق ، فى حين تعاضل (قدرى) ، فى اهتمام حقيقى :

- كم ؟!

هزّ (أدهم) رأسه فى بظه ، واستدار إليهما بانتماسة
هادئة ، لم تتجح فى محو الحزن المطلق من عينيه ، وهو
يقول :

- أنا نفسى أجهل العدد الصحيح ، فقد كنت غيراً أساسياً ،
فى كل الغشيات التى قامت بها وحدات الصاعقة ، قبل
حرب أكتوبر ١٩٧٣ م .. كنا نغير القناة ، تحت جنح الظلام ،
ونوجه إلى العدو ضربات عنيفة قاصمة ، قتلنا وحداته ،
وننسف مخازن ذخيرته ، ونقطع خطوط مواصلاته ، ثم
نعود إلى وحداتنا ، قبل مطلع الفجر .

حملت كلماته لمحة مذهشة ، توحى بأنه يستعيد ذكرى
سعيدة ، على الرغم من الحزن ، الذى لم يبارق عينيه أبداً ،
فلمضت (منى) :

- ألفتها كانت أفضل أيامك .

تنتزع إلى عينها بضع لحظات في صمت ، قبل أن يهز رأسه في بضع ، مجيئاً بصوت دالمن حنون :

- كلاً .

ثم مال نحوها ، والتقط أصابعها الرقيقة في راحته ، وهو يضيف ، بصوت أكثر نفاً وحناناً :

- أفضل أيامي على الإطلاق ، تلك التي عملنا فيها معاً .

ارتفع حاجبا (قدرى) في تأثر ، وبدا له أنه سيفجر بانكياً ، فأنشاح بوجهه ، في محاولة لكتمان دموعه ، التي تقاقل في استماتة ، للالتفات من عينيه ، في حين سرت قشعريرة دافئة عجيبة ، في جسد (منى) كله ، وهي تهتف بصوت ارتجفت نبراته :

- (أدم) .

مال نحوها أكثر ، وهو يقول :

- (منى) .. لقد أضعا لكثير من الوقت ، واهتمتا المتاعب ، التي لم تتوقف عن وضع نفسها في طريقنا ، منذ زمن طويل ، حتى نسينا أنفسنا .

سرت ارتجالة خافتة في جسدها ، وخلق قلبها بين

ضلوها في قوة ، وارتفعت السماء إلى وجنتيها ، وحاولت أن تقول شيئاً ..

أى شيء ..

ولكن الكلمات لحيبت في كياتها ، ورفضت الخروج إلى لساتها ، وهي تنتزع إليه في لهفة ، متسائلة صا إذا كان سينطقها لغيراً ..

أما هو ، فقد صمت لحظة ، امتزج خلالها ذلك الحزن ، الممثل من عينيه ، بغيض من الحب والحنان ، قبل أن يقول ، بصوت حمل دفء الدنيا كله :

- (منى) .. هل ..

وفجأة ، وقبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتفه المحمول ..

ارتفع ليسترع لثلاثتهم بقية ، من ذلك البحر من المشاعر ، حتى إن (منى) قد انتفضت في عطف ، وهي تطلق شهقة مرتفعة ، في حين سقطت الشظيرة من يد (قدرى) ، وهو يهتف :

- ربااه !

الوحيد الذي تصرف بتماسك متوقع ، كان (أدهم) نفسه ، الذي اعتدل في سرعة ، والتقط هاتفه المحمول بحركة تلقائية ، وضغط زر الاتصال فيه ، دون أن يلقى نظرة على شاشته ، وقال في حزم :

- (ن - ١) ياسيدى .

كان من الواضح أن الرنين الخاص ، الذي تطلق من هاتفه ، والذي يختلف عن رنينه المعتاد ، كان ينبهه بأن محطته هو مدير المخابرات العامة نفسه ، لذا فقد هب من مقعده ، وابتعد عن رفقائه بضع لحظات ، وهو يستمع إليه في اهتمام بالغ ..

وفي دهشة ، تساعل (قدرى) :

- لماذا استخدم (أدهم) كوده السرى ؟؟

شغفت (منى) ، وتبها يخفق في قوة :

- إنه اتصل من الإبرة .

اعتدل (قدرى) ، هاتفاً في الفعل :

- حقاً ؟؟

وكعادته ، كلما بلغ الفاعل نروته ، التقط شظيرة جديدة ،

وقضم منها قطعة كبيرة ، لآكلها بين فكيه ، في سرعة كبيرة ، وهو يراقب (أدهم) ، الذي استغرق بمشاعره كلها ، في الاستماع إلى مدير المخابرات ، دون أن يقاطعه بحرف واحد ، وهو يبتعد عن رفقائه بخطوات وثيقة حاسمة ، حتى بلغ سور الفيلا ، قبل أن يقول في حزم :

- كنى فداء لـ (مصر) ياسيدى .. أنا مستعد تماماً لتنفيذ المهمة ، مهما كان الثمن .

ثم عاد إلى صمته وانتباهه ؛ لتصف دقيقة أخرى ، قبل أن يقول :

- أنا مستعد تماماً ... ساعد حطيتى في سرعة .. ولتظروهم .

أنهى الاتصال ، وتحرك عقداً إلى رفقائه ، فتساعل (قدرى) في لهفة والتفعل :

- هل تعتقدون ..

قاطعته في الفعل :

- أي سؤال هذا ؟؟ كم تركيب هو الآن ؟؟

كانت صادقة في تساؤلها تماماً ، لـ (أدهم) ، الذي اتخذ طريقه نحوهما ، في خطوات قوية حيوية ، كان يختلف

تمامًا عن ذلك الذي كان يجلس ، منذ دقائق قليلة ، متطلعًا إلى مياه القناة في شروق ..

وعندما اقترب منهما ، شعرت (منى) بارتجافة جديدة ، تنطلق عبر كينها كله ، وهي تتطلع إلى عينيها ، اللتين زابلهما ذلك الحزن العميق اللتين ، لتحل محله نظرة مفعمة بالحيوية والنشاط ، اللذين انتقلا إلى صوته ، وهو يقول :

- يمكنكما البقاء هنا حسيما تشامان بارفاسق ، فأنا مضطر للعودة إلى (القاهرة) فورًا .

قال (فدوى) في دهشة :

- إلى (القاهرة) !! هل طلبوا عودك ، في الثامنة صباحًا !!

أما (منى) فنهضت ، قلقة في حزم :

- فليكن .. سنرافقك إلى هناك ، و ..

استوقفها بإشارة من يده ، وهو يقول :

- معذرة يا عزيزتى ، ولكن هليكوبتر لن تتسع إلا لشخص واحد .

ارتفع حاجبا (فدوى) في دهشة بالغة ، فس حين هتفت (منى) :

- هليكوبتر !! أهي مهمة عاجلة إلى هذا الحد !!

امتزج جوابه بهدير مراوح الهليكوبتر ، التي ظهرت في سماء المكان ، وهو يقول ، بلهجة حملت استمئاعًا واضحا :

- هي كذلك بالفعل .

وخفق قلب (منى) مرة أخرى بقوة ..

بمنتهى القوة ..

بدا (آن ركويل) ، مندوب المعاملات المركزية الأمريكية ، شديد التوتر والانفعال ، وهو يصاح (أدهم) ، قتلًا :

- مرحبا ياسيد (أدهم) .. يسعدنى وصولك إلى هنا بهذه السرعة ، فكل دقيقة لها ثمنها الآن ، والرؤساء في الولايات المتحدة ، يظنون وصولك إلى هناك ، بأقصى سرعة ممكنة .

قال (أدهم) في هدوء :

- بالتسمية لنسافر إلى بلادك ، لن نتخلف أى أقصى سرعة هذه عن عشر ساعات على الأقل .

هزّ الأمريكى رأسه تليًا ، وهو يقول في حزم :

- إنهم يريدونك هناك ، خلال ست ساعات فحسب .

ارتفع حاجبا (أدهم) في دهشة، وهو يقول:

- ست ساعات؟! ولكن ما من طائرة يمكنها أن تقطع
هذه المسافة، خلال ..

قاطعه الأمريكي بمنتهى الحزم:

- إننا نتحدث عن مقاتلة حربية، من أحدث طراز متاح.

التقى حاجبا (أدهم) في شدة، وهو يقول:

- مقاتلة حربية؟! ..

أجابه (راكويل) في سرعة:

- نعم .. مقاتلة حربية جديدة، يمكنها أن تؤمن السرعة
المناسبة، التي تساعد على الوصول إلى (واشنطن)،
خلال ست ساعات.

قال (أدهم)، وهو يعقد ساعديه أمام صدره:

- أعرف تمامًا قدرات مقاتلتكم الجديدة، وسرعها الفائقة،
التي تبلغ ضعف السرعات القصوى المعروفة. ولكن موزونتي
تقول: إنها لا تصلح للإرهاب، واحد، وهو قلدها، ثم إن خزان
وقودها لا يسمح لها بقطع هذه المسافة الهائلة، دون
التزود بالوقود ثلاث مرات على الأقل.

التقى حاجبا (راكويل)، وهو يسأله في توتر:

- ما لذو تعرفه أيضًا، عن مقاتلتنا الجديدة لـ... السرية؟! ..

ضغط حروف الكلمة الأخيرة، في غضب واضح، فهزَّ
(أدهم) كتفيه في هدوء، مجيبًا:

- تصميمات مقاتلتكم الجديدة، التي تتصورونها سرية،
كانت ترقد في أعماق خزانة (جون روتشيك)، مستشار
الأمن القومي الإسرائيلي، عندما اكتشفناها نحن، لتحصّل
منها على بعض الأوراق المهمة، التي أرسلناها إليكم،
فتجاهلتم محتواها تمامًا.

سأله (راكويل) في غضب:

- أتعني أن الإسرائيليين هم الذين ..

ثم يتم تساؤله، فقال (أدهم) في سخرية:

- نعم .. هم الذين ... والذين أيضًا.

- زاد تعقّد حاجبي (راكويل)، وهو يتطّلع إلى عينيهِ
مباشرة، فارتسمت على شفتي (أدهم) ابتسامة سخرية،
وهو يرفع أحد حاجبيه، ثم يخفضه، على نحو عصابات
مستتر، جعل الأمريكي يقول في حدة:

- فليكن يامستر (أدهم) .. لا وقت لدينا للدخول في مثل هذه المشاهدات السخيفة ، فلعل نأقوة ثمنها ، كما سبق أن أخبرتك .

ثم تتحجج ، وشد قامته ، ليضيف في حزم :

- أنت ستفقد مقاتلتنا .

أنفاسها متوقفاً أن تتسع عينا (أدهم) في دهشة وانبهار ، إلا أن هذا الأخير ظل هادئاً قوياً ، وهو يتساءل :

- وماذا عن مشكلة الوقود ؟؟

فرد الرجل أمامه خريطة ملاحية ، وأشار إليها ، مجيباً :

- في هذه البقعة ، وفي تلك أيضاً ، ستكون هناك حاملتا طائرات في انتظارك ، وليتبعهما كل الأوامر اللازمة لتزويدهم بالوقود ، فور هبوطك على سطح أي منهما .

قال (أدهم) بنفس الهدوء والقوة :

- الهبوط على سطح حاملتا طائرات ، في قلب المحيط ، ليس بالأمر الهين ، وأنا تم أطم به من قبل قط .

أشار (راكويل) بسببته ، قائلًا في توتر :

- ولكن مافك يؤكد أنك طيار بارع ، لا يشق له غير ،

كما تكولون في لغتكم ، ورؤسائي لديهم ثقة شديدة ، بأنه باستطاعتك القيام بهذا .

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- كنت : إنه ليس بالأمر الهين ، ولم أكن : إنه مستحيل !

قال (راكويل) في سرعة :

- وحتى لو كان ذلك .

وتوقف لحظة ، عرض خلالها شفته السفلى في مقت ، قبل أن يتابع :

- فمافك يقول : إنه قادر على قهر المستحيل .

هز (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وهو يتساءل :

- وماذا عن المرة الثالثة ؟؟

تطلع إليه (راكويل) بنظرة غريبة ليضع لحظات ، وكأنه لا يفهم السؤال ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، هاتفاً :

- آه .. تقصد احتياجك إلى التزود بالوقود ثلاث مرة .

قال (أدهم) ، في لهجة حملت لمحة ساخرة :

- بالتضيق .

ابتلع الأمريكي غضبه ، وهو يجيب :

- ستكون قد فكرت من سواحل ولايات المتحدة الأمريكية إلى حد ما ، لذا سيتم تزويدك بالوقود في أثناء الطيران ، بواسطة طائرة وقود ضخمة ، ستحلق فوقك ، وتمدّ أجنحتها ، إلى اتجاه الوقود في مقلتك ، وكل ما سيكون عليك فعله عندئذ ، هو أن تخفض من سرعة المقاتلة ، حتى تتناسب مع سرعة طائرة الوقود ، خلال فترة التزود فحسب ، ثم ..

قاطعه (أدهم) هذه المرة في حزم :

- أعرف ما ينبغي فعله حينذاك .

التقط الأمريكي نفساً عميقاً ، وهو يتطلع إليه مباشرة ، قبل أن يمد يده لمصافحته ، قائلًا :

- أعلم جيدًا أنك تؤدي هذه المهمة ، فقط لأنك تلقيت الأوامر بهذا من رؤسائك ، أو لأنكم ستحصلون على تعاون كبير منا ، مقابل تعاونكم معنا ، وأنه لو تعلّق الأمر بنا وحدنا ، لما حركت سيّبتك من أجنحتنا .

قال (أدهم) في برود :

- هذا صحيح .

تجاهل الأمريكي قوله تمامًا ، وتابع :

- وأعلم أيضًا أن المهمة ، على الرغم مما تبذرو عليه من بساطة ، قد تتطوى على قدر هائل من الخطر ، ولكنني أريد أن أقول لك : إنه لو تمت المهمة بنجاح ، حاول ألا تتلقى مرة ثانية أبدًا ، لأنه لو حدث هذا ، سأبذل قصارى جهدي للقضاء عليك ، مهما كلفني هذا ، لأنني لا أملك شخصًا في الدنيا كما أملكك .

صافحه (أدهم) في هدوء مستقر ، وهو يقول باهتسامة ساخرة :

- حاول أنت ألا تتلقى عندئذ ، فتستعوى ضحكك في المسافرة حتمًا ، عندما أراك تفتش في مسعك ، وتبكي في مرارة الأطفال .

قال (راكوبيل) ، بكل مقت الدنيا :

- سنرى يا مستر (أدهم) .. سنرى .

رفع (أدهم) حاجبه وخفضه مرة أخرى ، وهو يقول بنفس الابهتسامة الساخرة :

- نعم يا مستر (راكوبيل) .. سنرى .

وكيِّت هذه هي البداية ..

بداية المأزق ..

أكبر مأزق سيواجهه (أدهم) في حياته ..

على الإطلاق ..

نقلت الزعيمة الغامضة دخان سيجارتها الحمراء ، في بطنه واستمتع ، وهي تراجع المعلومات ، التي تراصت على شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، قبل أن تسترخي في مقعدها ، قائلة :

- عظيم .. كل شيء يسير على ما يرام .

قال قائد قواتها في قلق :

- ولكن المعلومات تقول : إنهم يراجعون ملفات الأعمار الصناعية ، مما يعني أنهم قد كونوا فكرة معقولة ، عن طبيعة السلاح الذي تستخدمه .

هزت كتفها في لامبالاة ، قائلة :

- كانوا سيتوصلون إليه ، إن عاجلاً أو آجلاً .

سألها في دهشة :

- ألا يقلقك هذا ؟؟

ابتسمت ابتسامة غامضة ، وهي تقول :

- كل شيء ما زال تحت السيطرة .

سألها ، في شيء من التوتر :

- كل شيء ؟؟

أجابته بمنتهى الحزم :

- نعم .. كل شيء .

مطأً شفتيه ، وهو يراجع المعلومات على شاشة الكمبيوتر مرة أخرى ، قبل أن يغمغم :

- ربما .

أدارت إليه عينين ساخرتين ، ونقلت دخان سيجارتها في وجهه ، قبل أن تقول :

- قل لي يا رجل : هل يتضمن عقدك أن تفكر ؟؟

حتى في وجهها ، قتلاً في حيرة :

- ماذا تعنين أيتها الزعيمة !!

استدارت إليه بجسدها اللذان كله ، وهي تقول ، في
صرامة واضحة :

- أعي أنني عندما استأجرت خدماتك ، أخبرتك بمنتهى
الوضوح ، أنك ستحصل على هذه المكافأة الضخمة ، مقابل
خدماتك وخبراتك العسكرية والقتالية ، ولم أشر لحظة
واحدة ، إلى أنني أحتاج إلى ذكائك أو عبقرتك .

تطّلع إليها في تساؤل حائر ، فالكذب صوتها قسوة
وصرامة ، وهي تقول في شراسة :

- بالمتعارف ، أريد منك أن تبذل نفسك قتالياً ، وتترك كل
ما يتعلق بالتفكير والتدبير لي وحدي .. هل تفهم !!

مضت لحظة من الصمت ، تطّلع كل منهما خلالها إلى
عيني الآخر ، قبل أن يقول هو مترجعاً :

- كنت أريد رأيي فحسب .

قالت بنفس الصرامة الشرسية :

- في المرة القادمة ، احتفظ برأيك هذا لنفسك .

قال ، في شيء من التوتر :

- ولكننا في زورق واحد .

صاحت في غضب :

- وأنا قبطان هذا الزورق .

تزايد توتره ، وهو يقول :

- في هذه الحالة ، أظنني أحتل منصب الضابط الأول ،
ومن حق من في منصبه أن يبلغ القبطان بكل ما يشاء
له ، وبكل ما يلقى عليه .

قالت بكل الصرامة :

- على أن يتخذ القبطان القرارات وحده في النهاية .

تخلفص صوته ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

قوله الأخير هذا جعلها تتراجع عن غضبتها الشرسة ،
وتستعيد ابتسامتها الساحرة ، قائلة :

- عظيم .. هذا يضع النقاط على الحروف في وضوح .

ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تشير إلى
شاشة الكمبيوتر ، متباعدة :

- هل لاحظت أنهم قد استعتوا بأكثر رجالهم خبرة وحكمة ،
للحصول تلك الحجرة ، التي قمنا بالبحث منها ، عبر شبكة
الاتصالات الداخلية ، في مبنى الكونجرس !!

لوما برأسه إيجابياً ، وقال :

- الطريق الذي استعتوا به ، من أبرع رجال الطب
الشرعي والمعامل الجنائية لديهم ، وهو المسلول عن حل
معظم الجرائم شديدة التعقيد ، في الولايات المتحدة كلها .

وصمت لحظة ، ثم تابع في نثر ، لم يستطع كبحه :

- إنهم معتادون على فحص مسرح الجريمة ، بمنتهي
الدقة والعناية ، وكل شيء يعثرون عليه فيها ، يمكن أن

يقودهم إلى نتيجة ما .. بصعوبة إنصاع .. شعرة رأس ،
أو حتى أثر حذاء .

وصمت لحظة ، ثم واصل ، في شيء من العصبية :

- إنهم يراعون بحق .. يراعون إلى أقصى حد ممكن .

أعشه بشدة أن ارتفعت على شفتيها ابتسامة كبيرة ،
وهي تقول في استمتاع عجيب :

- عظيم .. عظيم .

قاتتها ، ثم انطلقت من حلقها ضحكة عالية عابثة ، قبل
أن تلقى ما تبقى من سيجارتها الحمراء بعيداً ، وتتابع في
جذل وحشي عجيب :

- سيروق لي كثيراً ما سيعثرون عليه هناك .. وسيروق
لي أكثر ما سيتوصلون إليه .

وعادت تطلق ضحكة عابثة طويلة معطوطة ، ثم تلتقط
نفساً عميقاً ، وتقول في شيء من المرح :

- كل شيء يسير على ما يرام بالفعل .

مع آخر كلماتها ، انطلق من الكمبيوتر أزيز خافت ،
وظهر في ركن شاشته رسم لمظروف مقلق ، يعان وصول
رسالة عاجلة ، فمالت الزعيمة نحو لوحة الأزرار ، وهي
تقول في اهتمام :

- معلومة عاجلة .

وضغطت أحد أزرار اللوحة ، فافتتح رمز المظروف ،
وظهرت الرسالة كاملة على الشاشة ..

كانت رسالة قصيرة ، تحوى جملة واحدة فحسب ..

وبسرعة ، التهمت عينها الزعيمة كلمات الرسالة
القصيرة ، ثم تألفت عينها في شدة ، وهي تقول :

- آه .. لقد فعلوها .

سألها قائد قواتها في لهفة :

- هل استعانوا حقاً بذلك المصري ؟!

لشعلت سيجارة جديدة ، ونفثت دخانها في عصى ، وهي
تقول بنهجة غامضة :

- جواب هذا السؤال لم يشغلتني لحظة واحدة .. كنت
واقفة من أنهم سينفذون ما طلبته حتماً .

وصممت لحظة ، ثم أضفت في شيء من الحزم :

- السؤال الذي كان يتلقى : هل سيوافق هو على

مساعدتهم ؟!

سألها قائد قواتها في اهتمام حائر :

- ولماذا الإصرار على هذا المصري بالتحديد ؟!

نقلت بخان سيجارتها بمنتهى البطء ، قبل أن تجيب ، في

استمراع عجيب :

- لأن وجوده سيجعل اللعبة أكثر إثارة .. أكثر

بكثير .

فألتها ، وعادت تعلق تلك الضحكة الطويلة العابثة ..

وفي هذه المرة ، وربما لأول مرة منذ عرفها ، شعر قائد

قواتها بالخوف منها يسرى في عروقه ..

فعلى الرغم من جمالها وفتنتها ، وضاحتها العائنة الطويلة ، بدت له ، فى تلك اللحظة ، أشبه بوحش ..

وحش كاسر ..

للتغاية .

رياحين

www.liilas.com/vb3



٧ = السر ..

التقى حاجبا مستشارة الأمن القومى الأمريكية ، وانقلبت ساحتها ، على نحو زك ملامحها قبحا ، وهى تتابع شخصيا ، عملية فحص لك الحجرة ، التى تم بث اتصال لزعيمه منها ..

كان فريق خبراء الأتلة الجنائية يقوم بفحص المكان ، فى بقعة متناهية ، بحيث يستحيل أن نفوتهم لمحة واحدة ..

كثقوا يجمعون كل ترة يجدونها ، ويرفعون البصمات من كل ركن ، وكل جدار ، ويستخدمون أحدث معداتهم ؛ لكشف كل ما يمكن كشفه ..

وبعد ثلاث ساعات كاملة من العمل ، تقدم قائد الفريق من مستشارة الأمن ، وقال وهو يمسح العرق الغزير ، الذى تفر وجهه ، على الرغم من برودة الجو :

- أمازلت تصرين على البقاء ياسينى ١٢ الرجل يقومون بعملهم على أكمل وجه ، ولكن وجودك بينهم يثير نوترهم ، إلى حد ما .

قلت فى خشونة :

- دعهم يتكلمون هذا -

مط شفتيه ، قائلًا :

- ولكن ما الفائدة وجودك هنا ؟!

بدت أشبه بقطة مفترسة ، وهي تسأله :

- هل عثرتم على بصماتها ؟!

أشار الرجل بسياسته ، قائلًا :

- المكان يحوى العديد من البصمات ، و..

قاطعته فى صرامة :

- تلك الحفيرة لم تكن ترتدى قفلات ، وستجدون بصماتها

حتمًا ، فى مكان ما هنا ، لو قمتم بعملكم كما ينبغى .

بدا الضيق واضعًا فى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

- إننا نقوم بعملنا أفضل مما ينبغى ياسينتى ، ولكن

البصمات لا يمكن فحصها فى مسرح الجريمة .. لا بد أن

نعملها إلى معامتنا ، حيث شبكة الكمبيوتر وال...

قاطعته بنفس الصرامة :

- ما الذى تحتاجون إليه بالضبط ؟!

نظع إليها ، فى دهشة متسائلة ، فتابعت بصرامة أكثر :

- ما الذى تحتاجون إليه ؛ لأحصل على النتائج فورًا ؟!

بدا عليه الغضب ، وهو يقول فى حدة :

- ما لحتاج إليه بالفعل ، هو أن تتركنا وشأننا ياسينتى ..

دعنا نعمل كما ينبغى ، وقدهى أنت لتعارسى عملك كما ينبغى .

احتقن وجهها الأسمر ، وهي تهتف :

- كيف تجرؤ إليها ..

قاطعها فى صرامة شديدة :

- لست أجرب فحسب ، ولكننى أحتج أيضًا .

ثم شد قامته ، مستطردًا :

- وبأسلوب عالى .

قالتها ، وانتقلت إلى فريق الفحص ، هاتفاً بلهجة أمرة

صارمة :

- توقفوا .

لم يك ينطقها ، حتى توقف لرجال نفعة واحدة ، ونهضوا

واقفين ، كجنود فى حالة استعداد قتالى ، مما ضاعف من

احتقان وجهها ، وهي تهتف ، بكل غضب الدنيا :

- هل تدرك ما تفعلونه ؟!

أجابها الرجل في صرامة :

- نعم يا سيدي .. ندرتك جيداً أننا نرغب في أداء عملنا
كما ينبغي ، وأنتا لن تسمح لأي مخلوق ، أبداً كان منصبه ،
أن يفسد عملنا ، أو يبدس أئفه فيه ، ولو لحظة واحدة .

هتفت :

- أتعلم أن باستطاعتني أن ..

قاطعها بنفس الصرامة ، وهو يواصل حديثه :

- ولو أننا عجزنا عن القيام بعملنا لهذا السبب ، فنحن
نعلم فشلنا ، وننقم باستقلالنا الجماعية .. فوراً .

حدت في وجهه بضع لحظات ، وكأنها لا تصدق
ما تسمعه منه ، وتصارعت في أعماقها رغبتها في الحصول
على النتائج ، مع غضبها من تحديدهم لها ، إلا أنها لم تثبت
أن قالت ، وهي تتلفح خارج المكان في حدة :

- واصلوا عملكم .

كان الغضب يتجبر ، في كل خلية من خلاياها ، وهي تسير في
خطوات عصبية سريعة ، عبر معرات الكونجرس ، مشغمة :

- أيتها الحفيرة .. أنت السبب في كل هذا .. أقسم أن
أسحقك سحقاً ، عندما أظفر بك .

مع آخر حروف كلماتها ، ارتفع رنين هاتفها المحمول
بقعة ، فالتفتته في حركة عصبية ، قلقة :

- أتعلم أن يحمل هذا الاتصال خيراً سراً .

ضغطت زر الاتصال ، وهي تقول في حدة :

- ماذا هناك ؟!

أثاب صوت مدير المخابرات المركزية ، وهو يقول في توتر :

- لقد كنا على حق .

تعقد حلجباها في شدة ، وهي تقول في غضب :

- رياه ! هل استعملتموا برنامجنا ضمناً ؟!

أجابها مدير المخابرات :

- نعم يا مستشارة الأمن القومي .. تلك الحفيرة سيطرت
بوسيلة ما ، على أحد أعمارتنا الصناعية ، التي كانت ضمن
برنامج (حرب التجوّم)^{١٤١} . الذي لم يتم استكماله ؛ لأسباب
اقتصادية وسياسية .. لقد سيطرت بالتحديد على القعر

(*) برنامج حرب التجوّم . هو برنامج عسكري فضائي . تم وضع
أسسه ، أثناء فترة حكم الرئيس (ريجان) . وهو يعتمد على وجود شبكة من
الأقمار الصناعية ، تحيط بكوكب الأرض ، وتصل مدافع النور القوية ، للحفرة
على سطح أو هدف ، في أية بقعة من الأرض . ولقد تم إيقاف البرنامج ، بعد
سقوط الاتحاد السوفيتي ، باعتبار أنه لم يعد من المنطقي إتفاق مئات المخابرات
عليه . بعد أن أصبحت (أمريكا) زعيمة العالم الجديد .

الوحيد ، الذي يحوى مدفع ليزر قادراً على العمل ، وهي تستخدم أشعة الليزر غير المرئية ؛ لتسبب أهدافنا الأرضية ، وإزالتها تماماً من الوجود .

مضت لحظات من الصمت ، عبرت مستشارة الأمن خلالها ، عن النطق بحرف واحد ، من شدة الذهول والاستنكار ، فتابع مدير المخبرات فى توتر بالغ :

- علمنا يحاولون استعادة السيطرة على قمر الصناعات ، ولكنهم يقولون إن الأمر صعب للغاية ؛ لأن تلك الحقيبة قد أبدلت شفرات الاتصال تماماً .

قالت مستشارة الأمن ، وهي تبذل جهداً خارقاً ، للسيطرة على قلعها ، وتلغز الذهول والغضب عن ذهنها وصوتها :

- وكمن من الوقت نحتاج لاستعادة السيطرة عليه ؟!

أجابها فى مرارة :

- ثلاثة أيام ، على أقل تقدير ، باستخدام أحدث الأجهزة والمعدات ، والفضل خبراء الشفرة والاتصالات .

تضاعف غضبها ، وهي تقمقم :

- يا للحقيبة !

كثرت تشتعل غضباً وثورة ، فى أعماق أعماقها ، ولكنها قاومت كل هذا فى استماتة ، لتضيف :

- ألا يمكن تعقب الوسيلة ، التى تسيطر بها على قمرنا ، وتوجه بها ضرباتها ؟! هناك محطة سيطرة أرضية حتماً ، فى مكان ما هنا .

أجابها مدير المخبرات :

- إننا نبذل قصارى جهدنا لكشف هذا .

هتفت فى حدة :

- لقد منعت عبارة (قصرى جهنما) هذه ، فلا يستخدمها دوماً سوى المقصرين .

قال مدير المخبرات فى غضب :

- اسمعى أيتها المستشارة .. أعلم أنك غاضبة مما يحدث ، ولكننا نعلم حالة الإحباط نفسها ، ولكن هذا لا يمنعك الحق فى أن تتعاملى مع الآخرين ، بهذا الأسلوب لفظ الوقح ، وفى المرة القادمة ، لو تعاملت معى بهذا الصلف ، أو أثرت مجرد إشارة ، إلى ضعف كفاعتى ، أو كفاءة رجلى ، أو سخرت مما نفع ، سراسل ملك السرى كله ، إلى كبرى الصحف ، فى

جميع أنحاء العالم ، وأنت تعلمين أنه يحوي كل ما يكفى !
لأن يضطر الرئيس إلى التخطي عنك ، والتضحية بمصيرك
كله ، حتى لا يخسر فرصته الأخيرة ، فى الترشيح لفترة
رئاسة ثانية .

اعتنق وجهها بشدة ، وهى تسمعه ، وحاولت أن تقول
أى شيء ، لإعلان اعترافها و غضبها ، إلا أنها أدركت صحة
ما يقول ، وأنه لن يتردد لحظة واحدة ، فى تدمير مستقبلها
كله ، إذا ما تجاوزت حدودها ، فابتلعت كل ما تشعر به فى
أصاغها ، وسألته محاولة تجاوز الموقف كله :

- هل من أخبار عن نيك المصرى ؟؟

أدرك مدير المخابرات الأمريكية هدفها ، فتجاوز الموقف
بدوره ، وهو يقول فى هدوء :

- لقد تزود بالوقود للمرة الأولى بالفعل ، من حاملة
الطائرات (جونسون) ، والرجال هناك يؤكدون أنه طيار
بارع إلى درجة مذهشة ، وأن هبوطه وإقلاعه كانا
مثاليين ، حتى إن بعض طيارهم قد شعروا بالغيرة منه .

مطت شفتيها ، قائلة فى مقت :

- لست أصدق أن مصرياً يمكن أن يكون بهذه البراعة .

صمت مدير المخابرات لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- لو أنك تعيشين عالمنا ، لأدركت أن المصريين ليسوا
بالتفاهة التى تتصورينها ، وأنهم عابرة فى عدة مجالات ،
ومقاتلون لا يشق لهم جبار ، فى مضمار القتال .

قالت فى غضب :

- هل يثرون إعجابك إلى هذا الحد ؟؟

أجابها فى سرعة وحزم :

- فى عالمنا ، نحترم الأبطال ، لآ كانت جنسيتهم ، ولو لم
يكن نيك رجل أسطورة ، فى عالم المخابرات والجنوسية ، لما
أسرّ الإسرائيليون على ضرورة التخلص منه بأى ثمن كان .

قالت بنفس المقت :

- دعه ينجز مهمته أولاً ، وليتخلصوا منه فيما بعد .. أنا
شخصياً سأجرب اتصالاتى مع الإسرائيليين ، و ...

قاطعها بغتة ، وهو يهتف :

- يا إلهي ! يا إلهي !

سألته ، بكل توتر الدنيا :

- ماذا حدث عندك ؟؟

صاح بها ، وقلعه الجراف بكاد ينسف هاتفا :

- لن تصدقني ما فعلته تلك الحقيبة هذه المرة أيتها
المستشارة .. لن تصدقني أبداً .

صاحت به :

- ماذا حدث بالله عليك ؟؟

وأخبرها مدير المخبرات بما حدث ..

واتسعت عينها عن آخرهما ..

وهوى قلبها بين قدميها ..

فما فعلته الزعيمة الغامضة هذه المرة ، كان مخيفاً ..

مخيفاً بحق ..

التقط مدير المخبرات المصرية تلك البرقية العنقدة ،
التي قدمها له مساعدته الأول ، وقرأ كلماتها في سرعة ،
قبل أن يتراجع في مقعده ، ويرفع سبابته إلى ذكته ، قائلًا :

- إذن فقد تزودت (ن - ١) بالوقود للمرة الثانية !

ابتسم المساعد ، وهو يقول :

- من الواضح أن سيادة السيد بيهرهم بمهارته وقدراته
المدهشة ياسيدى ، فهم يتحدثون عنه ، كما لو كان
أسطورة حية .

غصم المدير :

- إنه كذلك بالفعل .

تطلقها في شراع من الشرود ، فتطلع إليه مساعده بضع
لحظات في صمت ، قبل أن يسأله في حذر :

- ما الذى يفتكك ياسيدى ؟؟

رفع المدير عينيه إليه في صمت ، طال لتصف دقيقة
كاملة ، قبل أن يقول في قلق واضح :

- المرحلة الثالثة من الرحلة .

سأله المساعد :

- ومذاً عنها ؟؟ سيادة السيد (أهم) طير بزغ للغاية ،
باعتراف خيراتهم قبل خيراتنا ، وصليبة التزود بالوقود في أنشأة
الطيران ، صلية تحتاج إلى المهارة وقوة التحكم في الطائرة ،
وسياسته يجهد الأمرين بكفاءة تامة .

هز المدير رأسه ، قائلاً :

- ليس هذا ما يقلقني .

قلتها ، ونهض من خلف مكتبه ، واتجه نحو نافذة الحجيرة ، ووقف يتكلم عبرها في صمت ، وهو يعدد عليه خلف ظهره ، ثم لم يلبث أن سأل ، دون أن يلتفت إلى مساعده :

- ما أهم سلاح ، تواجه به أي خصم قوي ؟؟

أجابه مساعده في سرعة :

- المعلومات .

أوما المدير برأسه ، قائلاً :

- بالضبط .

وصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يلتفت إلى مساعده ، قائلاً :

- لو راجعت ما يحدث ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، لأدركت أن كافة المعلومات هناك غير متوازنة على الإطلاق ، وأن تلك الزعيمة الغامضة ، التي توجه ضرباتها القاصصة هنا وهناك ، لديها رصيد ضخم من المعلومات ، عن كل ما يدور

في دهاليز السياسة وخزائن العسكرية ، في معظم الأماكن والجهات ، شديدة الأهمية والخطورة ، في الولايات المتحدة كلها ، وأن لديها ما يسمح لها بالتسلل إلى أماكن شديدة الحساسية ، والتخول إلى مواقع بالغة الدقة ، في نفس الوقت الذي يفكر فيه الأمريكيون إلى أية معلومات وأية عنها ، تتيج لهم التصدي لها ، ومواجهتها ، وإيقاف أو عرقلة مخططاتها .

وتوقف ليتلهذ في عبق . ثم تابع في قلق :

- ولهي هذه المرحلة الأخيرة ، من رحلة (ن - ١) العجيبة المفيدة ، إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، مستقرب مقابته رويداً رويداً من السواحل الأمريكية ، وسيصبح في حاجة شديدة للتزود بالوقود ، وإلا سقطت طائرته في المحيط .

تسأل مساعده ، وقد تفجّر قلق عارم في أعماقه :

- سيدي .. هل تشير إلى احتمال حدوث محاولة ما ؟ لمنع سيادة العميد ، من بلوغ (واشنطن) ؟؟

أشار إليه المدير ، قائلاً في قلق :

- أخبرني أنت ، لماذا أصرت تلك الزعيمة الغامضة ، على أن يكون (ن - ١) بالتحديد ، هو همزة الوصل ، بينها وبين

الحكومة الأمريكية ، في مفاوضاتها معها ١٢ لماذا رجل
مخابرات مصرى بالذات ١٢

ودون أن ينتظر جوابًا ، عاد يتطّلع عبر النافذة ، متابعًا
بنفس التلقئ :

- ألييفر هذا في أعمالك بذرة شك ، في أنها وسيلة
مبتكرة لجلب (ن - ١) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ،
والقضاء عليه بوسيلة ما ١٢

ضعف المساعد في القضاء ، دفعه إليه التفكير العميق :
- ربما ياسيدى ؟

ثم استدرك في سرعة :

- ولكن هناك نقطة أخرى ، لا تقل أهمية وخطورة :
التفت إليه المدير مرة أخرى ، وسأله في اهتمام :

- وما هي ١٢

أجابته المساعد في سرعة :

- سيادة السيد (أدم) يقود طائرة مقاتلة ، تعتبر الأحدث
من نوعها ، ومع مقاتل مثله ، ستصبح لية محمولة لإسقاطه
أشبه بالانتحار .

صمت مدير المخابرات طويلًا هذه المرة ، قبل أن يقول :

- هذا يقودنا إلى سؤال آخر .. كيف يمكن أن يسمح
الأمريكيون لرجل مخابرات مصرى ، بقيادة أحدث مقاتلاتهم ،
والهبوط بها في (واشنطن) ، دون أن يتخذوا كل الاحتياطات
اللزامة ، في هذا الشأن ١٢

والعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :

- وجواب كل هذه الأسئلة يحتاج إلى سلاح نفسه .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يكمل في حزم :

- المعلومات .

واحتواهما الصمت مرة ثانية ، وقد انطلقت أفكارهما إلى
هناك ..

إلى المحيط ..

محيط الخطر ..

كل شيء سار على ما يرام ، حتى هذه المرحلة ..

الرحلة كانت طويلة ، ولكن المقاتلة الأمريكية الجديدة
قوية بالفعل ، وتنتقل بسرعة مذهلة ..

وعلايتنا التزوة بالوقود تما في إطار الجدول المسبق ،
 ودون أية متاعب أو مشكلات ، باستثناء نظرات الحقد
 والغيرة ، في عيون الطيارين الأمريكيين ، وهم يتطلعون
 إلى المصري ، الذي يقود أحدث طائراتهم ، في مهارة
 مذهبة ، تلقى أقصى ما يتعمنون بلوغه ..

ومن المؤكد أنهم ، في تلك اللحظات ، قد تنكروا تلك الحقيقة
 المؤلمة - بالنسبة لهم - والتي تؤكد أن كفاءة الطيار المقاتل
 المصري ، تلقى بعدة مرات كفاءة أفضل طيار مقاتل أمريكي ،
 أو حتى إسرائيلي ، لأن الطيار المصري يعتمد دومًا على
 مهارته الشخصية . أكثر مما يعتمد على تكنولوجيا مقاتلته ،
 كما يفعل الأمريكيون والإسرائيليون^{١٠} ..

ولقد التزيت المرحلة الثالثة ، والمفترض أن تظهر طائرة
 الوقود ، بين لحظة وأخرى ..

كانت المؤشرات تشير إلى أن الوقود يكفى لربع ساعة
 أخرى من الطيران ، قبل أن ينفذ تمامًا ، قبل مئات الكيلومترات ،
 من الساحل الأمريكي ..

وفي اهتمام ، أثار (أهم) عينيهِ فيما حوِّله ، وهو يغمغم :

- هيا يا بهجة الوقود .. لا بد أن تظهرى الآن .

(*) مقابلة ، يعنى تتأكد منها بساطة ، عبر شبكة الإنترنت ..

كان يقود المقاتلة الأمريكية الحديثة بمهارة حقيقية ،
 وبنشوة لم يشعر بمثلتها من قبل ، ربما لأن العازق ، الذي
 وقعت فيه زعيمة النظام العالمي الجديد قد كسر ألفها ،
 وسحق عظمستها ، ودفعها مرغمًا إلى الاستعانة به ..
 برجل مخابرات (مصرى) ..

ومع الفكرة ، تسلفت إلى شفطيه إهتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- لقد فكروا بالحقيقة ، على الرغم منهم .. بالترمن !

ثم ثلاثت إهتسامته ، وهو يتابع :

- ولو أن الأمر بيدى ، لتركت تلك لزعيمة الغمضة تسحقهم
 سحقًا ، جزاء لما فعلوا بنا .

قائلها ، وذهنه يستعيد عبارة رئيس الجمهورية ، في
 نفاثه معه ، قبل أن يقابل مندوب المخابرات الأمريكية ..

« إننا لا تفعل هذا من أجل لولايات المتحدة الأمريكية أيها
 العصيد (أهم) .. إننا نفعله من أجلنا نحن ؛ فلو نجحت تلك
 الغمضة ، في السيطرة على الإدارة الأمريكية ، وهزيمة أكبر
 دولة في العالم ، لن تتردد لحظة واحدة ، في فرض سيطرتها
 على العالم كله - وهي لن تستثنى (مصر) بالتأكيد .. »

وكانت نظرية الرئيس صحيحة تمامًا ..

فالحماقة ، كل الحماقة ، أن تسمح للخطر أن يستشري
لمجرد أنه بعيد عن حدودك ..

هذا لأن الطبيعة الاستعمارية لا تشبع أبداً ..

أعطها قيراطاً ، وستطلب ثقاتاً ..

ووثاقاً ..

ووثاقين ..

وأرض الدنيا كلها ..

الوسيلة الوحيدة إذن لدرء خطرها ، هو أن نقتلها في
مهداها ، ونسحقها مع مولدها ..

أن تطيح بها ، قبل أن تطيح هي بك ..

وبما حوتك ..

ومن حوتك ..

وبالدنيا كلها فيما بعد ..

دارت تلك الأفكار في رأسه ، ومفلاتته تواصلت انطلاقها ،
فوق المحيط الأطلنطي ، وهيناه تبحثان فيما حوله ، و...

وفجأة ، ظهرت طائرة الوقود ..

ظهرت ناحية الغرب ، وهي تتجه نحوه مباشرة ، في نفس
اللحظة التي تبعث فيها صوت غليظ ، عبر جهاز الاتصال ، يقول :

- من بطاقة الوقود إلى النورس .. دقيقتان قبل مرحلة
التوازي .. قم بتخفيض السرعة ، استعداداً لعمليّة التزوّد
بالوقود ..

ضغط (أدوم) زر الاتصال ، قائلاً :

- من النورس المصري إلى بطاقة الوقود الأمريكية ..
تسلمنا رسالتكم ، ويتم الآن تخفيض السرعة ، إلى مستوى
يناسب عمليّة التوازي ..

فأداه ذلك الصوت الغليظ ، يقول :

- عبارتك غير صحيحة أيها النورس .. المفترض ألا يتم
ذكر الجنسيات ..

أجابته (أدوم) في سخرية :

- اعتبر هذا تجاوزاً مشاعياً أيها الأمريكي ..

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول صاحب الصوت
الغليظ ، وطائرة الوقود تقترب أكثر :

- فليكن أيها المصري ..

لجابه المدير في سرعة :

- ونحن نعتذر عن إعارتكم إياه ، فنظّمنا وقواتنا لمنع خروج أحد رجالنا ، في مهمة خارج الحدود ، لحساب أية دولة أخرى ، وخاصة عندما يحيط الغموض بتفاصيل تلك المهمة ، أو ملتها ، أو الهدف منها .

تضاعفت عصبية الأمريكي ، وهو يقول :

- ولكن أوامري تمنع ...

قاطعه الرئيس هذه المرة ، بمنتهى الحزم والصرامة :

- لقد سمعت ما قاله مدير جهاز المخابرات العامة .. وهذا ربما انتهى .. إما أن نعزم لعماداً تريدون الاستعانة برجالنا ، أو تعود إلى وطنك برد سلبى حاسم .

بنت الحيرة واضحة ، على كل خليفة من خلفات رجل المخابرات الأمريكي ، الذي تلفت حوله في عصبية ، وغمر العرق الجلود وجهه ، قبل أن يشير بيده ، قائلًا :

- لا بد لي من الاتصال برؤسائى أولاً .

أشار الرئيس إلى هاتفه الخاص ، قائلًا :

- ومن منعك من هذا ١٢

جفأ الأمريكي عرفه الغزير ، بكل توتر الدنيا ، وهو يلتقط سماعة هاتف الرئيس ، قائلًا :

- محترمة .. لمت مخلوًّا لانخفاً للقرات ، على هذا المستوى .

لم يستغرق حديثه مع رؤسائه سوى دقائق قليلة ، على نحو يوحي بأنهم كانوا يتوقعون هذا الموقف المصري ، بدليل أنه لم يكذب ينهي المحادثة ، حتى التفت إلى الرئيس ومدير مخابراته ، قائلًا :

- فرؤساء وافقوا على إطلاقكم على كل شيء ليها السادة ، وينشأدونكم الإبقاء على الأمر سرًّا ، وطني للثمن الثم .

مصطنح (ينشأدونكم) هذا ، كان يوضح تمامًا الاختلاف الموقف الأمريكي ، والقائمه رأسًا على عقب ، لذا فقد أشار الرئيس بيده ، وهو يقول في حسم :

- لكم هذا .

وهنا ، تتحلج مندوب المخابرات الأمريكية ، وبدأ يروي للرئيس ومدير مخابراته كل شيء ..

بكل التفاصيل ..

بلا استثناء ..

« كم أبيض هؤلاء العرب .. »

نظمت مستشارة الأمن القومي الأمريكية العبارة ، بلهجة
حمنت كل مقت الدنيا ، وهي تلفت داخل المكتب البيضاوي
لرئيس الأمريكي ، في قلب البيت الأبيض ، فلوح وزير
الدفاع بيده ، وهو يقول في حدة :

- ليس هذا وقت إبراز المشاعر الشخصية .. كل دقيقة
لها ثمنها الآن ، وليس من حقا أن نلشغل بأمر شخصية ،
والوقت يمضي على هذا النحو .

مطت مستشارة الأمن شفتيها في مقت ، وهي تقول :

- ولكنها الحقيقة .. أنا أبيضهم بشدة ، منذ .. منذ ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، فقال مدير المخابرات ، في
خضب صارم :

- دعني أخبرك أنا منذ ماذا ! منذ خذلك عربين ، وقعت
في غرامه ، في أثناء فترة دراستك الجامعية .

احتقن وجهها بشدة ، وهي تهتف :

- إنني لم ألق أبداً في ...

قاطعها مدير المخابرات في حدة :

- لمن الضروري أن أخبرك باسمه ، وجنسيته ، والوظيفة
التي يشغلها في دولته حاليًا ؟!

عضت شفتها السفلى في غضب ، قيل أن تقول :

- كلاً .. ليس من الضروري أن تعلق .

هتف الرئيس الأمريكي في حدة :

- كيف بدأت هذا الحديث السخيف ؟! ما شأن بغضك
للعرب ، بما نواجهه الآن ؟!

لوححت بذراعها ، قتلقة :

- تلك الحقيرة اشترطت أن يكون ذلك المصري ، الذي
أفردنا نواته بضرورة التخص منهُ ، هو المفاوض الرئيسي ،
في العملية كلها ، مما اضطرنا إلى الانضاء أمام المصريين ،
والسعي للاستعانة برجلهم ، الذي أذل ناصية أصدقائنا
الإسرائيليين .

قال الرئيس في غضب :

- ونحن مضطرون لقبول شرطها ، كما اضطرنا للموافقة
على دفع مائة مليار دولار لتلك الحقيرة ، حتى لا تسقط
هيبتنا أمام العالم كله .. وهل تعرفين لماذا اضطررنا إلى

هذا وذلك !! لأن أجهزة الأمن هنا تمتلك شهرة ، تفوق قدراتها الطبيعية والقوية ، حتى إنها عجزت تمامًا عن كشف هوية تلك المتهمة ، وموقعها ، وطبيعة سلاح الذي تستخدمه ، ووسيلتها في استخدامه .. وما نمنا لنقترب إلى المعلومات ، على هذا النحو المغزى ، فنيس أماننا سوى الاستسلام خفية ، حتى لا نضطر إلى الاستسلام علانية في المستقبل القريب .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، وهو يقول في توتر :

- إننا نواجه محترفين يأسده الرئيس .

صاح به الرئيس الأمريكي :

- كنت أفتكم أيضا محترفين يا هذا .

شد مدير المخابرات قامته في توتر ، وهو يقول :

- رجائي يعملون ليل نهار يأسده الرئيس ، وبعضهم لم يبق لتوم ، منذ أكثر من يومين .

سأله وزير الدفاع في عصبية :

- وما الذي توصلوا إليه ، بعد كل هذا !!

أجابه مدير المخابرات في سرعة :

- أنها كاذبة محترفة .

هاتف الرئيس الأمريكي ، في لهجة استنكارية :

- كاذبة !! أخذا كل شيء !!

حاول مدير المخابرات المركزية الأمريكية أن يتجاوز عبارة الرئيس ، وهو يواصل ، قللاً :

- ربما تكون قد دخلت إلى البلاد ، منتحلة شخصية (نورا كبارمان) بالفعل ، فقد عثرنا على بيئات هذه الأخيرة لدينا ، ولكنها حتماً ليست هي ، فخير لانا يؤكدون أنها ترتدي قناعاً مطاطياً بالغ الرقة ، وشديد الإلتقان ، وأنها تعتمد إخفاء شخصيتها الحقيقية لسبب ما ، هو أنها - على الأرجح - شخصية معروفة ، في عالم الجريمة ، أو عالم الجاسوسية .

سأله وزير الدفاع في اهتمام :

- هل ينق خبرلاك بهذا الرأي !!

واصل مدير المخابرات ، وكأنه لم يسمع السؤال :

- أما قصة شريط الفيديو ، الذي سينسف شبكة البث الداخلية ، لو تم إيقافه أو لتزاعه ، فهي كاذبة وملففة من أساسها ، ولكنها شديدة البراعة ، إلى حد مذهل ..

بدأ قوله هذا تشبه بصاعطة ، هوت على رعونس الجميع ،
فتسعت عيونهم عن آخرها ، وحذقوا في وجه مدير المخابرات
في ذهل ، قبل أن تهاتف مستشارة الأمن القومي في حدة :
- هناك جاسوس في العيسى .

أجابها مدير المخابرات في حزم :

- الأمر أكثر من مجرد جاسوس ، فأجهزة الفحص
الإلكترونية لم تسجل دخولها ، ومرافق البث الرقمي لم
يترك وجود بث حي ، والحجرة التي تم البث منها ، لم تعمل
آلات المراقبة فيها ..

والتكلم نفساً عميقاً ، قبل أن يتابع :

- بالختصار .. كانت هناك سيطرة إلكترونية تامة على
العيسى ، ولقد أهدت هي نظرنا عنها ، عندما أوهمتنا بأننا
نشاهد شريطاً مسجلاً .

اندفعت مستشارة الأمن القومي نحوه بغتة ، وأسكت
مساعده في قوة ، حتى كانت أصابعها تغوص في لحمه ،
وهي تهاتف :

- لا بد أن نلظر بهذه اللعينة .. هل نفهم !!

كثبت مستشارة الأمن القومي شفتيها ، فكتلة في امتعاض :
- كاذبة ، ومفلتة ، وشديدة البراعة !! أي قول مريض
هذا !!

رمقها مدير المخابرات بنقرة صارمة ، وهو يقول :

- مارأيتموه ونابعتموه ، على شاشة العرض ، في قاعة
اجتماعات الكونجرس ، لم يكن شريطاً مسجلاً .

تسعت عينا الرئيس الأمريكى ، وفقر فاه على نحو
عجيب ، في حين وثب وزير الدفاع من مقعده ، هاتفاً :
- لم يكن ماذا !!

أما مستشارة الأمن القومي ، فقد انقضت سحنتها في
غضب ، وهي تهاتف في حدة :

- ما لذى تخيه بقولك هذا !!

أجابها في صرامة :

- مارأيتموه كان بثاً مباشراً .

ثم قسا صوته ، وهو يضيف :

- من داخل مبنى الكونجرس نفسه .

أراح الرجل يدها بحركة حادة ، وهو يقول :

- وكيف أيتها البارعة ؟!

صاحت في حلق :

- لبحث عن وسيلة .. أية وسيلة !

قال في غضب :

- وما الذي تظلمينا لفعله ؟!

صاحت :

- لئلا كان ما تفعلونه ، فينبغي أن تضاعفوه ، وإلا استيقظنا ذات صباح ؛ نجد أن تلك الحظيرة قد سيطرت على مقلد الأمور .

هزّ مدير المخبرات رأسه في قوة ، قائلاً :

- مستحيل ! إنها تحصل على ما تريد ؛ لأنها تدققنا إلى

الثغرات لحسب ، بحيث لا نجد الوقت الكافي ؛ للسعي خلفها ، ومحاصرئها بمعلوماتنا وتحركاتنا ، ولكننا نستمعها المال ؛ لتربح بعض الوقت ، الذي سنستغله في معرفة هويتها ، وجمع كلفة المعلومات عنها ، بحيث ننقض عنها في الوقت المناسب ، قبل أن تستمتع بما ستحصل عليه منا .

سأله الرئيس فجأة :

- السؤال هو : كيف ستحصل عليه منا ؟!

استدار الجميع إليه ، غير مستوعبين طبيعة سؤاله ،

فاستطرد في توتر ملحوظ :

- هل تفكر أحدكم حجم الفراغ ، الذي يمكن أن يحتله

مائة مليار دولار ؟!

غصم وزير الدفاع ، وهو يدير عينيه فيما حوله :

- أظنها تحتاج إلى حجرة كهذه .

أجابته مدير المخبرات في سرعة :

- هذا لو طلبتهم نقداً .

سأله مستشارة الأمن في عصبية :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها بنفس السرعة :

- أعنى أنها محترفة ، وبشرك جيداً أن القفود يمكن تتبّعها

بأية وسيلة ، لذا فمن تغلب الحصول على المبلغ أيضاً ، في

شكل أودق نقدية .

سأله الوزير في اهتمام :

- كيف ستحصل عليه إن ٢٢ ؟

أشار مدير المخابرات بسببته ، مجيباً :

- من التلمية الاحترافية للبحث ، لا يوجد أفضل من الماس .

اعتدل الرئيس في مقعده ، مستثلاً في اهتمام بالغ :

- حقاً ؟

أجابته مدير المخابرات في حزم :

- الماس التقى صغير الحجم ، باهظ الثمن ، وحفنة واحدة منه ، قد تساوي ملايين الدولارات ، أي أن حقيبة من الماس شديد الثغارة ، قد تساوي المبلغ كله .

بدت مستشارة الأمن القومي شديدة الالفعال ، وهي تقول :

- حقيبة واحدة ؟؟

لوماً مدير المخابرات برأسه إيجابياً ، وقل :

- نعم .. حقيبة بسيطة ، لا تفتت الانتباه إليها أبداً ، في مكان مزدهم برجال الأعصاب ، مثل (وول ستريت) .

صغت الجميع تعاماً ، بعد عبارته الأخيرة ، وتهاكفوا

نظرة طويلة ، قبل أن تقول مستشارة الأمن القومي في صرامة :

- لو أن هذا هو الحل الاحترافي الوحيد ، فلم لانستعد لمواجهته بالفعل ؟؟

سألها مدير المخابرات في اهتمام :

- وكيف هذا ؟؟

أجابته في توتر :

- بأن نعدّ الحقيبة على الأقل ، ونزودها بجهز تعقب إلكتروني ، و... .

فأطعها مدير المخابرات ، قائلًا :

- هراء .

استدارت إليه بحركة حادة غاضبة ، ولكنه تجاهل لفعالها تعاماً ، وهو يقول :

- استخدام حقيبة مزودة بجهز تتبع ، مع امرأة نجحت في السيطرة على النظام الأمني الإلكتروني ، بالغ الثقة والعدانة في الكونجرس ، أشبه بمحاولة الانتحار بمسيف صدق .. كثير من الأمم ، وقليل من التائير .

قالت المستشار في خلق :

- وما الذي تلتزمه أنت إن ، يا عفرى العبقرة !!

أشار مدير المخابرات بسبأته ، وهو يجيب في سرعة :

- لقمع الصاعى .

تألفت عينا مستشارة الأمن ، وهي تهتف :

- آه .. بالطبع .. كيف نسيتنا هذا !! إتنا نستطيع تتبّع

خط سير حقيبة الماس ، بواسطة أقمارنا الصناعية

للتجسس .. إنها قادرة على تحديد لون الملابس الداخلية

لأى شخص ، في أى مكان في العالم ، و... (*)

قاطعها مدير المخابرات ، في سفرية متعمدة :

- وهل صدقت هذه الدعاية ، بامستشارة الأمن القومي

البارعة !! المفترض منها أن ترهب خصومنا ، لأن

تصدقها نحن .

عاد وجه مستشارة الأمن يحتلن ، وهي تهتف :

- أيتها الـ ...

(*) قبل حرب (العراق) الثانية ، أخذت الولايات المتحدة الأمريكية ،

أن أقمارها الصناعية للتجسس ، قادرة على معرفة لون الملابس الداخلية

لرئيس العراق ، وفي أثناء الحرب فُلتحت حتى في الثور على الرئيس نفسه .

قاطعها الرئيس الأمريكى ، وهو يضرب سطح مكتبه

براحته ، ويهبط من مقعده بحركة حادة :

- كفى .

صمت الجميع ، والتفتوا إليه في توتر ، فتابع في

غضب :

- أشعر وكنتى في حجرة ، تضم بعض أطفال مرحلة

العضائية ، وليس كبار المسئولين في الدولة !! إنكم

تتشاجرون وتتشاحنون ، حول تفاهات سخيفة ، في الوقت

الذى تولجه فيه البك أخطر كارثة ، لم تاريخها كنه .

اعتلن وجه وزير الدفاع ، وعظمت مستشارة الأمن

حاجبها في توتر ، في حين ارتبك مدير المخابرات

المركزية ، وهو يقول :

- معذرة بامسيادة الرئيس .. لم تكن نتشاحن في الواقع ،

وتكلى كنت أظرح ألتراحاً خاصاً بالأقمار الصناعية ،

و...

بتر عبارته بقتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن

يحتلن وجهه ، ويهتف بكل الفعال الدنيا :

- سيادة الرئيس .. لقد عرفت ماهية سلاح ، الذى تستخدمه

فصمتنا ، لتوجيه ضرباتها الساحقة .. يا إلهي ! لقد عرفته
بالعمل .

وكانت مفاجأة حقيقية للجميع ..

مفاجأة قوية ، وضيقة ..

للغاية ..

رياحين

www.liilas.com/vb3



٦ - الرحلة العجيبة ..

« ما أروع الحياة هنا ! »

هاتف (قندري) بالمعبرة ، في استمتاع كبير ، وهو
يسترخي على مقعد شاطئ وثير ، أمام مياه القنارة ، ويلتهم
شطيرة سالخنة ، وإلى جواره طبق يمتلئ بالشطير المعاللة ،
وزجاجة مياه غازية ضخمة ، من الطراز المخصص
للاستخدام العائلي ، ثم التخط نفساً صيفياً ، ارتفع معه كرشه
الضخم ، فريث عليه في رفق ، مستظرفاً في حرارة :

.. تست أقرى لماذا لم تكذا إلى هنا من قبل يا (أدهم) ،
ما نعت نعتك العكبان منذ ما يقرب من عشر سنوات ،
كما تقول !!

كان يتوقع ردّاً على تساؤله ، إلا أن (أدهم) لم ينبس
ببنت شفة ، وهو يجلس على مقعد مجاور له ، متطلعاً إلى
مياه القنارة ، في شرود عويّب ، فأعقل يسأله مرة أخرى :

.. (أدهم) .. هل ..

أسسكت (مسي) يده فجأة ، لتمنعه من الاستطراد ، وهي
تقول في خفوت ، حمل قدراً ملحوظاً من الحزم :

.. اصصت يا (قندري) .

انفتحت إليها (قدرى) فى دهشة ، فتأهت بحزم أكبر :
- تركه لحاله الآن .

لاذ الاثنان بالصمت التام ، وهما يراقبان (أدهم) ، الذى
بدا وكأنه قد انفصل تمامًا عما حوله ، وغرق بكليته كله فى
لجة من الأفكار ، وعيناه تنظعان إلى مياه القناة ، فى
صمت شارد عميق ..

ولقد ظل صمته ..

وطال ..

وطال ..

ولكن أحدهما لم ينبس ببنت شفة ..

كلاهما راح يراقبه ، فى اهتمام مزوج بالقلق والتعاطف ،
وكأنهما لم يرياه أبدًا على هذا النحو ..

(منى) بالذات ، كان قلبها ينظر من لجنه ..

كان يتعذب ..

ويثائم ..

ويبكي ..

وعبر جسدها كله ، انطلقت دموع قلبها تسرى فى
عروقها ، وتلتهب معها كل خلية من خلاياها ، حتى تمت
لو أنها تستطيع أن تنقل كل أحزانه وأتراحه إليها ؛ لتراه
مبتسمًا حيويًا ، كما عهدته دائمًا ..

فمنذ استضافتهما فى فيلته الصغيرة ، وعلى الرغم من
اهتمامه البالغ ، بتوفير كل سبل المتعة والراحة لهما ، ومن
أحيانهما الطويلة ، التى كانت تستمر فى بعض الأحيان ،
حتى مطلع الفجر ، أو حتى يرتفع شخير (قدرى) ، ليطلق
على كل ما حوله ، كانت تشعر أنها لا تجلس مع (أدهم
صبرى) الذى تعرفه ..

ليس مع ذلك الرجل ، الذى تتلجر الحماسة دومًا من كل
خلية فى جسده ، وتتألق الحيوية طوال الوقت ، وهى تظن
من عينيه ..

ليس ذلك البطل ، الذى ظلت مبهورة به ، طوال فترة
عملها كلها معه ..

إله الآن شخص آخر ..

شخص يتسهم شفتاه ، على الرغم من محيط الحزن
والأسى ، الذى يفرض من عينيه ..

شخص يحمل هموم الدنيا كلها فى صدره ..

فى عقله ..

فى قلبه ..

وفى كيانه كله ..

ومن الواضح أنه يخلق فى أعماقه سرًا كبيرًا ..

سرًا يتعلق بمشوقته الأولى ..

(مصر) ..

سرًا يرفض الإفصاح عنه ، حتى لها أول (قدرى) ..

ويائه من سر !

رباه ! كم تحبه !

كم تتعذب وتتمزق من أجله !

كم تتعنى لو تمنحه سعادة الدنيا كلها ، حتى تمحو من قلبه كل ما يلوء به من عذابات وأحزان ..

وبكل حب وحنان ونسى ولوعة الدنيا ، تطغمت إليه فى صمت ، وقلبها يخلق من أجله ..

ويخلق ..

ويخلق ..

و....

« هل تعلمون كم مرة عبرت فيها مياه هذه القناة ؟! »

نطقها (أدهم) فجأة ، وهو يواصل التطلع إلى مياه القناة ، فالتفت جسد (منى) ، وكأنه قد انزعجها من سبات عميق ، فى حين تعاضل (قدرى) ، فى اهتمام حقيقى :

- كم ؟!

هزّ (أدهم) رأسه فى بظه ، واستدار إليهما بانتماسة هادئة ، لم تتجح فى محو الحزن المطلق من عينيه ، وهو يقول :

- أنا نفسى أجهل العدد الصحيح ، فقد كنت غيرًا أساسيًا ، فى كل الغضبىات التى قامت بها وحدات الصاعقة ، قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ م .. كنا نعبّر القناة ، تحت جنح الظلام ، ونوجه إلى العدو ضربات عنيفة قاصمة ، قتلناهم وحداته ، وننسف مخازن ذخيرته ، ونقطع خطوط مواصلاته ، ثم نعود إلى وحداتنا ، قبل مطلع الفجر .

حملت كلماته لمحة مذهشة ، توحى بأنه يستعيد ذكرى سعيدة ، على الرغم من الحزن ، الذى لم يبارق عينيه أبدًا ، فغمضت (منى) :

- ألفتها كانت أفضل أيامك .

تنتزع إلى عينيها بضع لحظات في صمت ، قبل أن يهز رأسه في بضع ، مجيئاً بصوت دالمن حنون :

- كلاً .

ثم مال نحوها ، والتقط أصابعها الرقيقة في راحته ، وهو يضيف ، بصوت أكثر نفاً وحناناً :

- أفضل أيامي على الإطلاق ، تلك التي عملنا فيها معاً .

ارتفع حاجبا (قدرى) في تأثر ، وبدا له أنه سيفجر بانكياً ، فأنشاح بوجهه ، في محاولة لكتمان دموعه ، التي تقاقل في استماتة ، للالتفات من عينيها ، في حين سرت قشعريرة دافئة عجيبة ، في جسد (منى) كله ، وهي تهتف بصوت ارتجفت نبراته :

- (أدهم) .

مال نحوها أكثر ، وهو يقول :

- (منى) .. لقد أضعنا لكثير من الوقت ، واهتمتنا المتاعب ، التي لم تتوقف عن وضع نفسها في طريقنا ، منذ زمن طويل ، حتى نسينا أنفسنا .

سرت ارتجالة خافتة في جسدها ، وخلق قلبها بين

ضلوها في قوة ، وارتفعت السماء إلى وجنتيها ، وحاولت أن تقول شيئاً ..

أى شيء ..

ولكن الكلمات لحيبت في كياتها ، ورفضت الخروج إلى لساتها ، وهي تنتزع إليه في لهفة ، متسائلة صا إذا كان سينطقها لغيراً ..

أما هو ، فقد صمت لحظة ، امتزج خلالها ذلك الحزن ، الممثل من عينيها ، بغيض من الحب والحنان ، قبل أن يقول ، بصوت حمل دفء الدنيا كله :

- (منى) .. هل ..

وفجأة ، وقبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتفه المحمول ..

ارتفع ليسترزج ثلاثتهم بقتة ، من ذلك البحر من المشاعر ، حتى إن (منى) قد انتفضت في عطف ، وهي تطلق شهقة مرتفعة ، في حين سقطت الشظيرة من يد (قدرى) ، وهو يهتف :

- ربااه !

الوحيد الذي تصرف بتمامك متوقع ، كان (أهم) نفسه ، الذي اعتدل في سرعة ، والتقط هاتفه المحمول بحركة تلقائية ، وضغط زر الاتصال فيه ، دون أن يلقى نظرة على شاشته ، وقال في حزم :

- (ن - ١) ياسيدى .

كان من الواضح أن الرنين الخاص ، الذي تطلق من هاتفه ، والذي يختلف عن رنينه المعتاد ، كان ينبهه بأن محطته هو مدير المخابرات العامة نفسه ، لذا فقد هب من مقعده ، وابتعد عن رفاقه بضع لحظات ، وهو يستمع إليه في اهتمام بالغ ..

وفي دهشة ، تساعل (قبرى) :

- لماذا استخدم (أهم) كوده السرى ؟؟

شغفت (منى) ، وتبها يخفق في قوة :

- إنه اتصل من الإبرة .

اعتدل (قبرى) ، هاتفاً في الفعل :

- حقاً ؟؟

وكعادته ، كلما بلغ الفعله ثروته ، التقط شظيرة جديدة ،

وقضم منها قطعة كبيرة ، لآكلها بين فكيه ، في سرعة كبيرة ، وهو يراقب (أهم) ، الذي استغرق بمشاعره كلها ، في الاستماع إلى مدير المخابرات ، دون أن يقاطعه بحرف واحد ، وهو يبتعد عن رفاقه بخطوات وثيقة حاسمة ، حتى بلغ سور الفيلا ، قبل أن يقول في حزم :

- كنى فداء لـ (مصر) ياسيدى .. أنا مستعد تملأ لتلغيز المهمة ، مهما كان الثمن .

ثم عاد إلى صمته وانتباهه ؛ لتصف دقيقة أخرى ، قبل أن يقول :

- أنا مستعد تملأ ... ساعد حطيتي في سرعة .. ولتظرم .

أنهى الاتصال ، وتحرك عقداً إلى رفاقه ، فتساعل (قبرى) في لهفة والتفعل :

- هل تعتقدن ..

قاطعته في الفعل :

- أي سؤال هذا ؟؟ كم تركيب هو الآن ؟؟

كانت صادقة في تساؤلها تملأ ، لـ (أهم) ، الذي اتخذ طريقه نحوهما ، في خطوات قوية حيوية ، كان يختلف

تمامًا عن ذلك الذي كان يجلس ، منذ دقائق قليلة ، متطلعًا إلى مياه القناة في شروق ..

وعندما اقترب منهما ، شعرت (منى) بارتجافة جديدة ، تنطلق عبر كينها كله ، وهي تتطلع إلى عينيها ، اللتين زابلهما ذلك الحزن العميق اللتين ، لتحل محله نظرة مفعمة بالحيوية والنشاط ، اللذين انتقلا إلى صوته ، وهو يقول :

- يمكنكما البقاء هنا حسيما تشاءان بإرفاقنا ، فأتنا مضطر للعودة إلى (القاهرة) فورًا .

قال (فدوى) في دهشة :

- إلى (القاهرة) !! هل طلبوا عودتك ، في الثامنة صباحًا !!

أما (منى) فنهضت ، قلقة في حزم :

- فليكن .. سنرافقك إلى هناك ، و ..

استوقفها بإشارة من يده ، وهو يقول :

- معذرة يا عزيزتى ، ولكن هليكوبتر لن تتسع إلا لشخص واحد .

ارتفع حاجبا (فدوى) في دهشة بالغة ، فس حين هتفت (منى) :

- هليكوبتر !! أهي مهمة عاجلة إلى هذا الحد !!

امتزج جوابه بهدير مراوح الهليكوبتر ، التي ظهرت في سماء المكان ، وهو يقول ، بلهجة حملت استمتاعًا واضحًا :

- هي كذلك بالفعل .

وخفق قلب (منى) مرة أخرى بقوة ..

بمنتهى القوة ..

بدا (آن ركويل) ، مندوب المعاملات المركزية الأمريكية ، شديد التوتر والانفعال ، وهو يصاح (أدهم) ، قتلًا :

- مرحبا ياسيد (أدهم) .. يسعدنى وصولك إلى هنا بهذه السرعة ، فكل دقيقة لها ثمنها الآن ، والرؤساء في الولايات المتحدة ، يظنون وصولك إلى هناك ، بأقصى سرعة ممكنة .

قال (أدهم) في هدوء :

- بالتسمية لتسفر إلى بلادك ، لن تتخلص أقصى سرعة هذه عن عشر ساعات على الأقل .

هزَّ الأمريكى رأسه تليًا ، وهو يقول في حزم :

- إنهم يريدونك هناك ، خلال ست ساعات فحسب .

ارتفع حاجبا (أدهم) في دهشة، وهو يقول:

- ست ساعات؟! ولكن ما من طائرة يمكنها أن تقطع
هذه المسافة، خلال ..

قاطعه الأمريكي بمنتهى الحزم:

- إننا نتحدث عن مقاتلة حربية، من أحدث طراز متاح.

التقى حاجبا (أدهم) في شدة، وهو يقول:

- مقاتلة حربية؟!

أجابه (راكويل) في سرعة:

- نعم .. مقاتلة حربية جديدة، يمكنها أن تؤمن السرعة
المناسبة، التي تساعد على الوصول إلى (واشنطن)،
خلال ست ساعات.

قال (أدهم)، وهو يعقد ساعديه أمام صدره:

- أعرف تمامًا قدرات مقاتلتكم الجديدة، وسرعها الفائقة،
التي تبلغ ضعف السرعات القصوى المعروفة. ولكن موزونتي
تقول: إنها لا تصلح للإرتكاب واحد، وهو قلدها، ثم إن خزان
وقودها لا يسمح لها بقطع هذه المسافة الهائلة، دون
التزود بالوقود ثلاث مرات على الأقل.

التقى حاجبا (راكويل)، وهو يسأله في توتر:

- ما لذو تعرفه أيضًا، عن مقاتلتنا الجديدة لـ... السرية؟!

ضغط حروف الكلمة الأخيرة، في غضب واضح، فهزَّ
(أدهم) كتفيه في هدوء، مجيبًا:

- تصميمات مقاتلتكم الجديدة، التي تتصورونها سرية،
كانت ترقد في أعماق خزانة (جون روتشيك)، مستشار
الأمن القومي الإسرائيلي، عندما اكتشفناها نحن، لتحصل
منها على بعض الأوراق المهمة، التي أرسلناها إليكم،
فتجاهلتم محتواها تمامًا.

سأله (راكويل) في غضب:

- أتعني أن الإسرائيليين هم الذين ..

ثم يتم تساؤله، فقال (أدهم) في سخرية:

- نعم .. هم الذين ... والذين أيضًا.

- زاد العقد حاجبي (راكويل)، وهو يتطلع إلى عينيهِ
مباشرة، فارتسمت على شفتي (أدهم) ابتسامة سخرية،
وهو يرفع أحد حاجبيه، ثم يخفضه، على نحو عباث
مستفز، جعل الأمريكي يقول في حدة:

- فليكن يامستر (أدهم) .. لا وقت لدينا للدخول في مثل هذه المشاهدات السخيفة ، فلعل نأقوة ثمنها ، كما سبق أن أخبرتك .

ثم تتحجج ، وشد قامته ، ليضيف في حزم :

- أنت ستفقد مقاتلتنا .

أنفاسها متوقفاً أن تتسع عينا (أدهم) في دهشة وانبهار ، إلا أن هذا الأخير ظل هادئاً قوياً ، وهو يتساءل :

- وماذا عن مشكلة الوقود ؟؟

فرد الرجل أمامه خريطة ملاحية ، وأشار إليها ، مجيباً :

- في هذه البقعة ، وفي تلك أيضاً ، ستكون هناك حاملتا طائرات في انتظارك ، وليتبعهما كل الأوامر اللازمة لتزويدهم بالوقود ، فور هبوطك على سطح أي منهما .

قال (أدهم) بنفس الهدوء والقوة :

- الهبوط على سطح حاملتا طائرات ، في قلب المحيط ، ليس بالأمر الهين ، وأنا تم أطم به من قبل قط .

أشار (راكويل) بسببته ، قائلًا في توتر :

- ولكن مافك يؤكد أنك طيار بارع ، لا يشق له غبار ،

كما تكولون في لغتكم ، ورؤسائي لديهم ثقة شديدة ، بأنه باستطاعتك القيام بهذا .

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- كنت : إنه ليس بالأمر الهين ، ولم أكن : إنه مستحيل !

قال (راكويل) في سرعة :

- وحتى لو كان ذلك .

وتوقف لحظة ، عرض خلالها شفته السفلى في مقت ، قبل أن يتابع :

- فمافك يقول : إنه قادر على قهر المستحيل .

هز (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وهو يتساءل :

- وماذا عن المرة الثالثة ؟؟

تطلع إليه (راكويل) بنظرة غريبة ليضع لحظات ، وكأنه لا يفهم السؤال ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، هاتفاً :

- آه .. تقصد احتياجك إلى التزود بالوقود ثلاث مرة .

قال (أدهم) ، في لهجة حملت لمحة ساخرة :

- بالتضيق .

ابتلع الأمريكي غضبه ، وهو يجيب :

- ستكون قد فكرت من سواحل ولايات المتحدة الأمريكية إلى حد ما ، لذا سيتم تزويدك بالوقود في أثناء الطيران ، بواسطة طائرة وقود ضخمة ، ستحلق فوقك ، وتمدّ أجنحتها ، إلى اتجاه الوقود في مقلتك ، وكل ما سيكون عليك فعله عندئذ ، هو أن تخفض من سرعة المقاتلة ، حتى تتناسب مع سرعة طائرة الوقود ، خلال فترة التزود فحسب ، ثم ..

قاطعه (أدهم) هذه المرة في حزم :

- أعرف ما ينبغي فعله حينذاك .

التقط الأمريكي نفساً عميقاً ، وهو يتطلع إليه مباشرة ، قبل أن يمد يده لمصافحته ، قائلًا :

- أعلم جيدًا أنك تؤدي هذه المهمة ، فقط لأنك تلقيت الأوامر بهذا من رؤسائك ، أو لأنكم ستحصلون على تعاون كبير منا ، مقابل تعاونكم معنا ، وأنه لو تعلّق الأمر بنا وحدنا ، لما حركت سيّبتك من أجنحتنا .

قال (أدهم) في برود :

- هذا صحيح .

تجاهل الأمريكي قوله تمامًا ، وتابع :

- وأعلم أيضًا أن المهمة ، على الرغم مما تبذرو عليه من بساطة ، قد تتطوى على قدر هائل من الخطر ، ولكنني أريد أن أقول لك : إنه لو تمت المهمة بنجاح ، حاول ألا تتلقى مرة ثانية أبدًا ، لأنه لو حدث هذا ، سأبذل قصارى جهدي للقضاء عليك ، مهما كلفني هذا ، لأنني لا أملك شخصًا في الدنيا كما أملكك .

صافحه (أدهم) في هدوء مستقر ، وهو يقول باهتسامة ساخرة :

- حاول أنت ألا تتلقى عندئذ ، فتستطو ضحككتي المسافرة حتمًا ، عندما أراك تفتش في مسعك ، وتبكي في مرارة الأطفال .

قال (راكويل) ، بكل مقت الدنيا :

- سنرى يا مستر (أدهم) .. سنرى .

رفع (أدهم) حاجبه وخفضه مرة أخرى ، وهو يقول بنفس الابهتسامة الساخرة :

- نعم يا مستر (راكويل) .. سنرى .

وكتبت هذه هي البداية ..

بداية المأزق ..

أكبر مأزق سيواجهه (أدهم) في حياته ..

على الإطلاق ..

نقلت الزعيمة الغامضة دخان سيجارتها الحمراء ، في بطنه واستمتع ، وهي تراجع المعلومات ، التي تراصت على شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، قبل أن تسترخي في مقعدها ، قائلة :

- عظيم .. كل شيء يسير على ما يرام .

قال قائد قواتها في قلق :

- ولكن المعلومات تقول : إنهم يراجعون ملفات الأعمار الصناعية ، مما يعني أنهم قد كونوا فكرة معقولة ، عن طبيعة السلاح الذي تستخدمه .

هزت كتفها في لامبالاة ، قائلة :

- كانوا سيتوصلون إليه ، إن عاجلاً أو آجلاً .

سألها في دهشة :

- ألا يملك هذا ؟؟

ابتسمت ابتسامة غامضة ، وهي تقول :

- كل شيء ما زال تحت السيطرة .

سألها ، في شيء من التوتر :

- كل شيء ؟؟

أجابته بمنتهى الحزم :

- نعم .. كل شيء .

مطأً شفتيه ، وهو يراجع المعلومات على شاشة الكمبيوتر مرة أخرى ، قبل أن يغمغم :

- ربما .

أدارت إليه عينين ساخرتين ، ونقلت دخان سيجارتها في وجهه ، قبل أن تقول :

- قل لي يا رجل : هل يتضمن عقدك أن تفكر ؟؟

حتى في وجهها ، قتلاً في حيرة :

- ماذا تعنين أيتها الزعيمة !!

استدارت إليه بجسدها اللذان كله ، وهي تقول ، في
صرامة واضحة :

- أعي أنني عندما استأجرت خدماتك ، أخبرتك بمنتهى
الوضوح ، أنك ستحصل على هذه المكافأة الضخمة ، مقابل
خدماتك وخبراتك العسكرية والقتالية ، ولم أشر لحظة
واحدة ، إلى أنني أحتاج إلى ذكائك أو عبقرتك .

تطّلع إليها في تساؤل حائر ، فالكذب صوتها قسوة
وصرامة ، وهي تقول في شراسة :

- بالمنصّر ، أريد منك أن تبذل نفسك قتلياً ، وتترك كل
ما يتعلق بالتفكير والتدبير لي وحدي .. هل تفهم !!

مضت لحظة من الصمت ، تطّلع كل منهما خلالها إلى
عيني الآخر ، قبل أن يقول هو مترجعاً :

- كنت أريد رأيي فحسب .

قالت بنفس الصرامة الشرسة :

- في المرة القادمة ، احتفظ برأيك هذا لنفسك .

قال ، في شيء من التوتر :

- ولكننا في زورق واحد .

صاحت في غضب :

- وأنا قبطان هذا الزورق .

تزايد توتره ، وهو يقول :

- في هذه الحالة ، أظنني أحتمل منصب الضابط الأول ،
ومن حق من في منصبه أن يبلغ القبطان بكل ما يشاء
له ، وبكل ما يلقى عليه .

قالت بكل الصرامة :

- على أن يتخذ القبطان القرارات وحده في النهاية .

تخلفص صوته ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

قوله الأخير هذا جعلها تتراجع عن غضبتها الشرسة ،
وتستعيد ابتسامتها الساحرة ، قائلة :

- عظيم .. هذا يضع النقاط على الحروف في وضوح .

ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تشير إلى
شاشة الكمبيوتر ، متباعدة :

- هل لاحظت أنهم قد استمتعوا بأكثر رجالهم خبرة وحنكة ،
للحصول تلك الحجرة ، التي قمنا بالبحث منها ، عبر شبكة
الاتصالات الداخلية ، في مبنى الكونجرس !!

لوما برأسه إيجابياً ، وقال :

- الطريق الذي استمتعوا به ، من أبرع رجال الطب
الشرعي والمعامل الجنائية لديهم ، وهو المسلول عن حل
معظم الجرائم شديدة التعقيد ، في الولايات المتحدة كلها .

وصمت لحظة ، ثم تابع في نثر ، لم يستطع كبحه :

- إنهم معتادون على فحص مسرح الجريمة ، بمنتهي
الدقة والعناية ، وكل شيء يعثرون عليه فيها ، يمكن أن

يقودهم إلى نتيجة ما .. بصعوبة إنصاع .. شعرة رأس ،
أو حتى أثر حذاء .

وصمت لحظة ، ثم واصل ، في شيء من العصبية :

- إنهم يراعون بحق .. يراعون إلى أقصى حد ممكن .

أعشه بشدة أن ارتفعت على شفتيها ابتسامة كبيرة ،
وهي تقول في استمتاع عجيب :

- عظيم .. عظيم .

قاتتها ، ثم انطلقت من حلقها ضحكة عالية عابثة ، قبل
أن تلقى ما تبقى من سيجارتها الحمراء بعيداً ، وتتابع في
جذل وحشي عجيب :

- سيروق لي كثيراً ما سيعثرون عليه هناك .. وسيروق
لي أكثر ما سيتوصلون إليه .

وعادت تطلق ضحكة عابثة طويلة معطوطة ، ثم تلتقط
نفساً عميقاً ، وتقول في شيء من المرح :

- كل شيء يسير على ما يرام بالفعل .

مع آخر كلماتها ، انطلق من الكمبيوتر أزيز خافت ،
وظهر في ركن شاشته رسم لمظروف مقلد ، يعان وصول
رسالة عاجلة ، فمالت الزعيمة نحو لوحة الأزرار ، وهي
تقول في اهتمام :

- معلومة عاجلة .

وضغطت أحد أزرار اللوحة ، فافتتح رمز المظروف ،
وظهرت الرسالة كاملة على الشاشة ..

كانت رسالة قصيرة ، تحوى جملة واحدة فحسب ..

وبسرعة ، التهمت عينها الزعيمة كلمات الرسالة
القصيرة ، ثم تألفت عينها في شدة ، وهي تقول :

- آه .. لقد فعلوها .

سألها قائد قواتها في لهفة :

- هل استعانوا حقاً بذلك المصري ؟!

لشعلت سيجارة جديدة ، ونفثت دخانها في عصى ، وهي
تقول بنهجة غامضة :

- جواب هذا السؤال لم يشغلتني لحظة واحدة .. كنت
واقفة من أنهم سينفذون ما طلبته حتماً .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت في شيء من الحزم :

- السؤال الذي كان يتلقسى : هل سيوافق هو على

مساعدتهم ؟!

سألها قائد قواتها في اهتمام حائر :

- ولماذا الإصرار على هذا المصري بالتحديد ؟!

نفثت دخان سيجارتها بمنتهى البطء ، قبل أن تجيب ، في

استمراع عجيب :

- لأن وجوده سيجعل اللعبة أكثر إثارة .. أكثر

بكثير .

فألتها ، وعادت تعلق تلك الضحكة الطويلة العابثة ..

وفي هذه المرة ، وربما لأول مرة منذ عرفها ، شعر قائد

قواتها بالخوف منها يسرى في عروقه ..

فعلى الرغم من جمالها وفتنتها ، وضاحتها العائنة الطويلة ، بدت له ، فى تلك اللحظة ، أشبه بوحش ..

وحش كاسر ..

للتغاية .

رياحين

www.liilas.com/vb3



٧ = السر ..

التقى حاجبا مستشارة الأمن القومى الأمريكية ، وانقلبت ساحتها ، على نحو زك ملامحها قبحا ، وهى تتابع شخصيا ، عملية فحص لك الحجرة ، التى تم بث اتصال لزعيمه منها ..

كان فريق خبراء الأتلة الجنائية يقوم بفحص المكان ، فى بقعة متناهية ، بحيث يستحيل أن نفوتهم لمحة واحدة ..

كثقوا يجمعون كل ترة يجدونها ، ويرفعون البصمات من كل ركن ، وكل جدار ، ويستخدمون أحدث معداتهم ؛ لكشف كل ما يمكن كشفه ..

وبعد ثلاث ساعات كاملة من العمل ، تقدم قائد الفريق من مستشارة الأمن ، وقال وهو يمسح العرق الغزير ، الذى تفر وجهه ، على الرغم من برودة الجو :

- أمازلت تصرين على البقاء ياسينى ١٢ الرجل يقومون بعملهم على أكمل وجه ، ولكن وجودك بينهم يثير نوترهم ، إلى حد ما .

قلت فى خشونة :

- دعهم يتكلمون هذا -

مط شفتيه ، قائلًا :

- ولكن ما الفائدة وجودك هنا ؟!

بدت أشبه بقطة مفترسة ، وهي تسأله :

- هل عثرتم على بصماتها ؟!

أشار الرجل بسياسته ، قائلًا :

- المكان يحوى العديد من البصمات ، و..

قاطعته فى صرامة :

- تلك الحفرة لم تكن ترتدى قفلات ، وستجدون بصماتها

حتمًا ، فى مكان ما هنا ، لو قمتم بعملكم كما ينبغى .

بدا الضيق واضعًا فى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

- إننا نقوم بعملنا أفضل مما ينبغى ياسينتى ، ولكن

البصمات لا يمكن فحصها فى مسرح الجريمة .. لا بد أن

نعملها إلى معامتنا ، حيث شبكة الكمبيوتر وال...

قاطعته بنفس الصرامة :

- ما الذى تحتاجون إليه بالضبط ؟!

نظع إليها ، فى دهشة متسائلة ، فتابعت بصرامة أكثر :

- ما الذى تحتاجون إليه ؛ لأحصل على النتائج فورًا ؟!

بدا عليه الغضب ، وهو يقول فى حدة :

- ما لحتاج إليه بالفعل ، هو أن تتركنا وشأننا ياسينتى ..

دعنا نعمل كما ينبغى ، وقدهى أنت لتعارسى عملك كما ينبغى .

احتقن وجهها الأسمر ، وهي تهتف :

- كيف تجرؤ إليها ..

قاطعها فى صرامة شديدة :

- لست أجرو فحسب ، ولكننى أحتج أيضًا .

ثم شد قامته ، مستطردًا :

- وبأسلوب عالى .

قالتها ، وانتقلت إلى فريق الفحص ، هاتفاً بلهجة أمرة

صارمة :

- توقفوا .

لم يك ينطقها ، حتى توقف لرجال نفعة واحدة ، ونهضوا

واقفين ، كجنود فى حالة استعداد قتالى ، مما ضاعف من

احتقان وجهها ، وهي تهتف ، بكل غضب الدنيا :

- هل تدرك ما تفعلونه ؟!

أجابها الرجل في صرامة :

- نعم يا سيدي .. ندرتك جيداً أننا نرغب في أداء عملنا كما ينبغي ، وأنتا لن تسمح لأي مخلوق ، أباً كان منصبه ، لن يفسد عملنا ، أو يبدس أئفه فيه ، ولو لحظة واحدة .

هتفت :

- أتعلم أن باستطاعتى أن ..

قاطعها بنفس الصرامة ، وهو يواصل حديثه :

- ولو أننا عجزنا عن القيام بعملنا لهذا السبب ، فنحن نعلم فشلنا ، وننقم باستقلالنا الجماعية .. فوراً .

حدت في وجهه بضع لحظات ، وكأنها لا تصدق ما تسمعه منه ، وتصارعت في أعصابها رغبتها في الحصول على النتائج ، مع غضبها من تحديدهم لها ، إلا أنها لم تثبت أن قالت ، وهي تتلفح خارج المكان في حدة :

- واصلوا عملكم .

كان الغضب يتجبر ، في كل خلية من خلاياها ، وهي تسير في خطوات عصبية سريعة ، عبر معرات الكونجرس ، مشغمة :

- أيتها الحفيرة .. أنت السبب في كل هذا .. أقسم أن أسحقك سحقاً ، عندما أظفر بك .

مع آخر حروف كلماتها ، ارتفع رنين هاتفها المحمول بقعة ، فالتفت في حركة عصبية ، قلقة :

- أتعلم أن يحمل هذا الاتصال خيراً سراً .

ضغطت زر الاتصال ، وهي تقول في حدة :

- ماذا هناك ؟!

أثاب صوت مدير المخبرات المركزية ، وهو يقول في توتر :

- لقد كنا على حق .

تعقد حلجباها في شدة ، وهي تقول في غضب :

- رياه ! هل استعملوا برنامجنا ضمناً ؟!

أجابها مدير المخبرات :

- نعم يا مستشارة الأمن القومي .. تلك الحفيرة سيطرت بواسطة ما ، على أحد أعمارنا الصناعية ، التي كانت ضمن برنامج (حرب التجوّم)^{١٤} . الذي لم يتم استكماله ؛ لأسباب اقتصادية وسياسية .. لقد سيطرت بالتحديد على القمر

(*) برنامج حرب التجوّم . هو برنامج عسكري فضائي . تم وضع اسمه ، أثناء فترة حكم الرئيس (ريجان) . وهو يعتمد على وجود شبكة من الأقمار الصناعية ، تحيط بكوكب الأرض ، وتصل مدافع النور القوية ، للحفرة على سطح أو هدف ، في أية بقعة من الأرض . ولقد تم إيقاف البرنامج ، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ، باعتبار أنه لم يعد من المنطقي إتفاق مئات المخبرات عليه . بعد أن أصبحت (أمريكا) زعيمة العالم الجديد .

الوحيد ، الذي يحوى مدفع ليزر قادراً على العمل ، وهي تستخدم أشعة الليزر غير المرئية ؛ لتسبب أهدافنا الأرضية ، وإزالتها تماماً من الوجود .

مضت لحظات من الصمت ، عبرت مستشارة الأمن خلالها ، عن النطق بحرف واحد ، من شدة الذهول والاستنكار ، فتابع مدير المخبرات فى توتر بالغ :

- علمنا يحاولون استعادة السيطرة على لقصر الصناعات ، ولكنهم يقولون إن الأمر صعب للغاية ؛ لأن تلك الحقيبة قد أبدلت شفرات الاتصال تماماً .

قالت مستشارة الأمن ، وهي تبذل جهداً خارقاً ، للسيطرة على قلبها ، وتلغى الذهول والغضب عن ذهنها وصوتها :

- وكمن من الوقت نحتاج لاستعادة السيطرة عليه ؟!

أجابها فى مرارة :

- ثلاثة أيام ، على أقل تقدير ، باستخدام أحدث الأجهزة والمعدات ، والفضل خبيراء الشفرة والاتصالات .

تضاعف غضبها ، وهي تقمقم :

- يا للحقيبة !

كثرت تشتعل غضباً وثورة ، فى أعرق أعماقها ، ولكنها قاومت كل هذا فى استماتة ، لتضيف :

- ألا يمكن تعقب الوسيلة ، التى تسيطر بها على قمرنا ، وتوجه بها ضرباتها ؟! هناك محطة سيطرة أرضية حتماً ، فى مكان ما هنا .

أجابها مدير المخبرات :

- إننا نبذل قصارى جهدنا لكشف هذا .

هتفت فى حدة :

- لقد منعت عبارة (قصرى جهنما) هذه ، فلا يستخدمها دوماً سوى المقصرين .

قال مدير المخبرات فى غضب :

- اسمعى أيتها المستشارة .. أعلم أنك غاضبة مما يحدث ، ولكننا نعلم حالة الإحباط نفسها ، ولكن هذا لا يمنعك الحق فى أن تتعاملى مع الآخرين ، بهذا الأسلوب لفظ الوقح ، وفى المرة القادمة ، لو تعاملت معى بهذا الصلف ، أو أثرت مجرد إشارة ، إلى ضعف كفاعتى ، أو كفاءة رجلى ، أو سخرت مما نفع ، سراسل ملك السرى كله ، إلى كبرى الصحف ، فى

جميع أنحاء العالم ، وأنت تعلمين أنه يحوي كل ما يكفى !
لأن يضطر الرئيس إلى التخطي عنك ، والتضحية بمصيرك
كله ، حتى لا يخسر فرصته الأخيرة ، فى الترشيح لفترة
رئاسة ثانية .

اعتنق وجهها بشدة ، وهى تسمعه ، وحاولت أن تقول
أى شيء ، لإعلان اعتراضها و غضبها ، إلا أنها أدركت صحة
ما يقول ، وأنه لن يتردد لحظة واحدة ، فى تدمير مستقبلها
كله ، إذا ما تجاوزت حدودها ، فابتلعت كل ما تشعر به فى
أصاغها ، وسألته محاولة تجاوز الموقف كله :

- هل من أخبار عن نيك المصرى ؟؟

أدرك مدير المخابرات الأمريكية هدفها ، فتجاوز الموقف
بدوره ، وهو يقول فى هدوء :

- لقد تزود بالوقود للمرة الأولى بالفعل ، من حاملة
الطائرات (جونسون) ، والرجال هناك يؤكدون أنه طيار
بارع إلى درجة مذهشة ، وأن هبوطه وإقلاعه كانا
مثاليين ، حتى إن بعض طيارهم قد شعروا بالغيرة منه .

مطت شفتيها ، قائلة فى صمت :

- لست أصدق أن مصرياً يمكن أن يكون بهذه البراعة .

صمت مدير المخابرات لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- لو أنك تعيشين عالمنا ، لأدركت أن المصريين ليسوا
بالتفاهة التى تتصورينها ، وأنهم عابرة فى عدة مجالات ،
ومقاتلون لا يشق لهم جبار ، فى مضمار القتال .

قالت فى غضب :

- هل يثرون إعجابك إلى هذا الحد ؟؟

أجابها فى سرعة وحزم :

- فى عالمنا ، نحترم الأبطال ، لآ كانت جسيبتهم ، ولو لم
يكن نيك رجل أسطورة ، فى عالم المخابرات والجاسوسية ، لما
أسرّ الإسرائيليون على ضرورة التخلص منه بأى ثمن كان .

قالت بنفس المعنى :

- دعه ينجز مهمته أولاً ، وليتخلصوا منه فيما بعد .. أنا
شخصياً سأجرب اتصالاتى مع الإسرائيليين ، و ...

قاطعها بغتة ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

سألته ، بكل توتر الدنيا :

- ماذا حدث عندك ؟؟

صاح بها ، وقلعه الجراف بكاد ينسف هاتفا :

- لن تصدقني ما فعلته تلك الحقيبة هذه المرة أيتها
المستشارة .. لن تصدقني أبداً .

صاحت به :

- ماذا حدث بالله عليك ؟؟

وأخبرها مدير المخبرات بما حدث ..

واتسعت عينها عن آخرها ..

وهوى قلبها بين قلميها ..

فما فعلته الزعيمة الغامضة هذه المرة ، كان مخيفاً ..

مخيفاً بحق ..

التقط مدير المخبرات المصرية تلك البرقية العنقدة ،
التي قمتها له مساعده الأوك ، وقرأ كلماتها في سرعة ،
قبل أن يتراجع في مقده ، ويرفع سبابته إلى ذكته ، قتلأ :

- إذن فقد تزودت (ن - ١) بالوقود للمرة الثانية !

ابتسم المساعد ، وهو يقول :

- من الواضح أن سيادة السيد بيهرهم بمهارته وقدراته
المدهشة ياسيدى ، فهم يتحدثون عنه ، كما لو كان
أسطورة حية .

غصم المدير :

- إنه كذلك بالفعل .

تطلقها في شرم من الشرود ، فتطلع إليه مساعده بضع
لحظات في صمت ، قبل أن يسأله في حذر :

- ما الذى يفتكك ياسيدى ؟؟

رفع المدير عينيه إليه في صمت ، طال لتصف دقيقة
كاملة ، قبل أن يقول في قلق واضح :

- المرحلة الثالثة من الرحلة .

سأله المساعد :

- ومذاً عنها ؟؟ سيادة السيد (أهم) طير بزغ للغاية ،
باعتراف خيراتهم قبل خيراتنا ، وصلىة التزود بالوقود في أثناء
الطيران ، صلية تحتاج إلى المهارة وقوة التحكم في الطائرة ،
وسياسته يجهد الأمرين بكفاءة تامة .

هز المدير رأسه ، قائلاً :

- ليس هذا ما يقلقني .

قلتها ، ونهض من خلف مكتبه ، واتجه نحو نافذة الحجيرة ، ووقف يتكلم عبرها في صمت ، وهو يعدد عليه خلف ظهره ، ثم لم يلبث أن سأل ، دون أن يلتفت إلى مساعده :

- ما أهم سلاح ، تواجه به أي خصم قوي ؟؟

أجابته مساعده في سرعة :

- المعلومات .

أوما المدير برأسه ، قائلاً :

- بالضبط .

وصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يلتفت إلى مساعده ، قائلاً :

- لو راجعت ما يحدث ، في الولايات المتحدة الأمريكية ،

لا أدركت أن كفة المعلومات هناك غير متوازنة على الإطلاق .

وأن تلك الزعيمة الغامضة ، التي توجه ضرباتها القاصصة

هنا وهناك ، لديها رصيد ضخم من المعلومات ، عن كل ما يدور

في دهاليز السياسة وخزائن العسكرية ، في معظم الأماكن والجهات ، شديدة الأهمية والخطورة ، في الولايات المتحدة كلها ، وأن لديها ما يسمح لها بالتسلل إلى أماكن شديدة الحساسية ، والتخول إلى مواقع بالغة الدقة ، في نفس الوقت الذي يفكر فيه الأمريكيون إلى أية معلومات وأية عنها ، تتيج لهم التصدي لها ، ومواجهتها ، وإيقاف أو عرقلة مخططاتها .

وتوقف ليتلهذ في عبق . ثم تابع في قلق :

- ولهي هذه المرحلة الأخيرة ، من رحلة (ن - ١) العجيبة المفيدة ، إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، مستقرباً مقائلته رويداً رويداً من السواحل الأمريكية ، وسيصبح في حاجة شديدة للتزود بالوقود ، وإلا سقطت طائرته في المحيط .

تسأل مساعده ، وقد تفجّر قلق عارم في أعماقه :

- سيدي .. هل تشير إلى احتمال حدوث محاولة ما ؟

لمنع سيادة العميد ، من بلوغ (واشنطن) ؟؟

أشار إليه المدير ، قائلاً في قلق :

- أخبرني أنت ، لماذا أصرت تلك الزعيمة الغامضة ، على أن

يكون (ن - ١) بالتحديد ، هو همزة الوصل ، بينها وبين

الحكومة الأمريكية ، في مفاوضاتها معها ١٢ لماذا رجل
مخابرات مصرى بالذات ١٢

ودون أن ينتظر جوابًا ، عاد يتطّلع عبر النافذة ، متابعًا
بنفس التلقئ :

- ألييفر هذا في أعماك بذرة شك ، في أنها وسيلة
مبتكرة لجلب (ن - ١) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ،
والقضاء عليه بوسيلة ما ١٢

ضعف المساعد في القضاة ، دفعه إليه التفكير العميق :
- ربما ياسيدى ؟

ثم استدرك في سرعة :

- ولكن هناك نقطة أخرى ، لا تقل أهمية وخطورة :

التفت إليه المدير مرة أخرى ، وسأله في اهتمام :

- وما هي ١٢

أجابته المساعد في سرعة :

- سيادة السيد (أدم) يقود طائرة مقاتلة ، تعتبر الأحدث
من نوعها ، ومع مقاتل مثله ، ستصبح لية محمولة لإسقاطه
أشبه بالانتحار .

صمت مدير المخابرات طويلًا هذه المرة ، قبل أن يقول :

- هذا يقودنا إلى سؤال آخر .. كيف يمكن أن يسمح
الأمريكيون لرجل مخابرات مصرى ، بقيادة أحدث مقاتلاتهم ،
والهبوط بها في (واشنطن) ، دون أن يتخذوا كل الاحتياطات
اللزامة ، في هذا الشأن ١٢

والعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :

- وجواب كل هذه الأسئلة يحتاج إلى سلاح نفسه .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يكمل في حزم :

- المعلومات .

واحتواهما الصمت مرة ثانية ، وقد انطلقت أفكارهما إلى
هناك ..

إلى المحيط ..

محيط الخطر ..

كل شيء سار على ما يرام ، حتى هذه المرحلة ..

الرحلة كانت طويلة ، ولكن المقاتلة الأمريكية الجديدة
قوية بالفعل ، وتنتقل بسرعة مذهلة ..

وعلايتنا التزوة بالوقود تما في إطار الجدول المسبق ،
 ودون أية متاعب أو مشكلات ، باستثناء نظرات الحقد
 والغيرة ، في عيون الطيارين الأمريكيين ، وهم يتطلعون
 إلى المصري ، الذي يقود أحدث طائراتهم ، في مهارة
 مذهبة ، تلقى أقصى ما يتعمنون بلوغه ..

ومن المؤكد أنهم ، في تلك اللحظات ، قد تنكروا تلك الحقيقة
 المؤلمة - بالنسبة لهم - والتي تؤكد أن كفاءة الطيار المقاتل
 المصري ، تلقى بعدة مرات كفاءة أفضل طيار مقاتل أمريكي ،
 أو حتى إسرائيلي ، لأن الطيار المصري يعتمد دومًا على
 مهارته الشخصية . أكثر مما يعتمد على تكنولوجيا مقاتلته ،
 كما يفعل الأمريكيون والإسرائيليون^{١٠} ..

ولقد التزيت المرحلة الثالثة ، والمفترض أن تظهر طائرة
 الوقود ، بين لحظة وأخرى ..

كانت المؤشرات تشير إلى أن الوقود يكفى لربيع ساعة
 أخرى من الطيران ، قبل أن ينفذ تمامًا ، قبل مئات الكيلومترات ،
 من الساحل الأمريكي ..

وفي اهتمام ، أثار (أهم) عينييه فيما حوله ، وهو يغمغم :

- هيا يا هبة الوقود .. لا بد أن تظهرى الآن .

(*) مقابلة ، يعنى تتأكد منها بساطة ، عبر شبكة الإنترنت ..

كان يقود المقاتلة الأمريكية الحديثة بمهارة حقيقية ،
 وبنشوة لم يشعر بمثلتها من قبل ، ربما لأن العازق ، الذي
 وقعت فيه زعيمة النظام العالمي الجديد قد كسر ألفها ،
 وسحق عطرستها ، ودفعها مرغمًا إلى الاستعانة به ..
 برجل مخابرات (مصرى) ..

ومع الفكرة ، تسلفت إلى شفطيه إهتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- لقد فكروا بالحقيقة ، على الرغم منهم .. بالترمن !

ثم ثلاثت إهتسامته ، وهو يتابع :

- ولو أن الأمر بيدى ، لتركت تلك لزعيمة الغمضة تسحقهم
 سحقًا ، جزاء لما فعلوا بنا .

قائلها ، وذهنه يستعيد عبارة رئيس الجمهورية ، في
 نفاثه معه ، قبل أن يقابل مندوب المخابرات الأمريكية ..

« إننا لا تفعل هذا من أجل لولايات المتحدة الأمريكية أيها
 العصيد (أهم) .. إننا نفعله من أجلنا نحن ، فلو نجحت تلك
 الغمضة ، في السيطرة على الإدارة الأمريكية ، وهزيمة أكبر
 دولة في العالم ، لن تتردد لحظة واحدة ، في فرض سيطرتها
 على العالم كله - وهي لن تستثنى (مصر) بالتأكيد .. »

وكانت نظرية الرئيس صحيحة تمامًا ..

فالحماقة ، كل الحماقة ، أن تسمح للخطر أن يستشري
لمجرد أنه بعيد عن حدودك ..

هذا لأن الطبيعة الاستعمارية لا تشبع أبداً ..

أعطها قيراطاً ، وستطلب ثباتاً ..

وهدايا ..

وهداين ..

وأرض الدنيا كلها ..

الوسيلة الوحيدة إن لدرء خطرها ، هو أن نقتلها في
مهداها ، ونسحقها مع مولدها ..

أن تطيح بها ، قبل أن تطيح هي بك ..

وبما حوتك ..

ومن حوتك ..

وبالدنيا كلها فيما بعد ..

دارت تلك الأفكار في رأسه ، ومفائلته تواصلت انطلاقها ،
فوق المحيط الأطلنطي ، وهيناه تبحثان فيما حوله ، و...

وفجأة ، ظهرت طائرة الوقود ..

ظهرت ناحية الغرب ، وهي تتجه نحوه مباشرة ، في نفس
اللحظة التي تبعث فيها صوت غليظ ، عبر جهاز الاتصال ، يقول :

- من بطاقة الوقود إلى النورس .. دقيقتان قبل مرحلة
التوازي .. قم بتخفيض السرعة ، استعداً لتعبئة التزويد
بالوقود ..

ضغط (أدهم) زر الاتصال ، قائلاً :

- من النورس المصري إلى بطاقة الوقود الأمريكية ..
تسلمنا رسالتكم ، ويتم الآن تخفيض السرعة ، إلى مستوى
يناسب عملية التوازي ..

فأدرك ذلك الصوت الغليظ ، يقول :

- عبارتك غير صحيحة أيها النورس .. المفترض ألا يتم
ذكر الجنسيات ..

أجابته (أدهم) في سخرية :

- اعتبر هذا تجاوزاً مشاعياً أيها الأمريكي ..

مرت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول صاحب الصوت
الغليظ ، وطائرة الوقود تقترب أكثر :

- فليكن أيها المصري ..

خلفن (أهم) سرعة مقلته رويداً رويداً حتى تتناسب مع سرعة طائرة الوقود ، التي الترتب ..

والتربت ..

والتربت ..

وفي منورة مدروسة ، قامت طائرة الوقود بدورة مكتملة ؛ لتعمل على تغير اتجاهها ، وتتلقى نحو الغرب ، وهي تقترب من مقاتلة (أهم) ، وترتفع فوقها ، وصاحب الصوت الغليظ يقول ، عبر جهاز الاتصال :

- السرعة متناسبة ، والارتفاع مثالي .. استعد لعملية النزول بالوقود .

جنب (أهم) فراغاً معدنية صغيرة ؛ ليقتح خزان وقود مقاتلته ، في نفس الوقت الذي بدأت فيه طائرة الوقود تمد أبوابها خاصاً ، من خزنها الضخم ؛ ليتصل بفتحة خزان وقود المقاتلة ، و...

وفجأة ، ظهرت تلك المقاتلة الأخرى ..

ظهرت فجأة من الشمال ، وهي تتلقى نحو مقاتلة (أهم) مباشرة ، في نفس اللحظة ، التي هدف فيها قائد طائرة الوقود ، في دهشة مذعورة :

- ما هذا بالضبط ؟؟

ومع آخر حروف هتافه ، أطلقت المقاتلة الجديدة أحد صواريخها ، نحو مقاتلة (أهم) مباشرة ، وهي تواصل الانطلاق نحوها ..

وعلى الرغم من المفاجأة ، استوعب ذهن (أهم) الموقف كله ، في جزء من الثانية ..

وفي الجزء الثاني من الثانية ، كان قد وضع خبراته كلها موضع التنفيذ ، وجذب عجلة القيادة ، وهو يميل بالجنائحين ، ويزيد سرعته ، في نفس اللحظة ..

ومع مناورته المدهشة ، وسرعة استجابته الفريدة ، تجاوزت مقاتلته ذلك الصاروخ ، على نحو مذهل ، قبل أن تنطلق مبتعدة ، في مهارة مبهرة ، وتلك الصوت الغليظ ينبعث من جهاز اتصالها ، هاتفاً في ارتياح :

- ما الذي يحدث هنا ؟؟ ليس من المفترض أن يحدث هذا .. ليس من المفترض أبداً .

لم يحاول (أهم) التعليق على تلك الهتاف المذعور ، وهو ينطق بمقاتلته ، وتلك المقاتلة المجهولة نظرده في إصرار ..

وعلى الرغم من نكة الموقف ، غمغم (أهم) في سخرية :

- الأمر ليس بالبساطة التي تصورها أيها الوغد .

تخفص بالمقاتلة فجأة ، مع أخر حروف سمعته ، وترك
المقاتلة الأخرى تتبعه لحظة ، ثم تحرف جانباً بحركة حادة ،
ومال بزاوية بالغة الخطورة ، تحتاج إلى مهارة لفاتحة ..

ولقد حاول قائد الطائفة المجهولة مجارته ، فالتحرف
بنفس الحركة الحادة ، ومال بزاوية مقاربة ..

ولكنها ليست مساوية ..

وفي نفس اللحظة ، كان (أدهم) يرتفع بمقاتلته مرة أخرى ،
ويبور بها في مهارة ، ثم ينخفض مرة أخرى ، وهو يصم :
- من سوء حظك أن طائفة المقنعة تمتلك دومًا حق
تحديد المسار أيها الوغد .

كادت مناورته المدهشة قد عكست المواقف تمامًا ، بحيث
أصبح هو في المؤخرة ، وأصبحت تلك المقاتلة المجهولة
في مرمى نيرانه تمامًا ..

ولقد حاول قائد المقاتلة المجهولة الإفلات من المواقف ..
حاول ..
وحاول ..
وحاول ..

ولكن الأمر كان يعتمد ، في تلك اللحظات ، اعتماداً رئيسياً
على سرعة المناورة والاستجابة ..

وفي هذا المضمار ، كان من التصير أن يتفوق مخلوق ما
على رجل المستحيل .. أي مخلوق ..

وفي حسم ، غصم (أدهم) ، وهو يضغط زر إطلاق
الصواريخ في مقاتلته :

- يؤسقتي حقًا ما سأقلعه بك أيها الوغد ، ولكن لا خيار
في مثل هذه المواقف .. إما أنا ، أو أنت ..

لم يكذب بتم عبارته ، حتى تطلق أزيز حاد داخل مقاتلته ،
قبل أن يضاء لوح أحمر صغير ، في تابلوه القيادة ..

لوح يحمل عبارة مخيفة للغاية ، في موقف كهذا ..

عبارة تقول : إن المقاتلة قد تم نزع كل تسليحها
القتلى ، كإجراء أمني خاص ..

تم نزع كل تسليحها تمامًا ..

وكان هذا يعني أن (أدهم) قد أصبح في مأزق ، فوق
المحيط الأطلنطي ..

مأزق حقيقي ..

ورهيب .

لم تشعر مستشارة الأمن القومي الأمريكية ، في حياتها كلها بالغضب والسخط ، كما شعرت بهما في تلك اللحظة ، وهي تتطلع إلى مركز التحكم في الأقمار الصناعية ، والذي تم سحقه سحقاً ، بواسطة منفع التيزر القوي ، الذي يحميه ذلك القمر الصناعي ، الذي تسيطر عليه الزعيمة الغامضة ..

وفي مرارة لا مثيل لها ، قال مدير المخابرات ، وهو يشير إلى الحطام :

- لقد فعلتها .. أدركت أننا سنسعى لاستعادة السيطرة على القمر ، فسحقت محاولتنا كلها بضربة واحدة .

غمغمت مستشارة الأمن في وقت :

- ضربة وقتالية .

هز رأسه نفياً ، وقال :

- بل ضربة تأديبية ، لو شننا العقوبة .. إنها تثلثنا درساً قاسياً ، وتبلغنا رسالة صارمة ، تقول : إنها ستتخذ موقفاً غاية في القسوة ، لو حاولنا التصدي لها .

صاحت مستشارة الأمن في غضب :

- وهل تتوقع منا أن نلقب ساكنين مستسلمين !!

أجابها في مرارة :

- بل تسعى لإجبارنا على هذا .

صاحت بكل الحدة :

- يا للحفارة ! إنها تتجاوز كل القواعد ، على نحو يبالغ الصفاقة والوقاحة .

بدا مدير المخابرات عصبياً ، وهو يقول :

- إننا لم نتردد في فعل المثل ، عندما كنا نحن الأكثر قوة .

تعقد حاجبها في شدة ، وهي تقول :

- الأمر يختلف .

أجابها في التصاب حازم :

- كلاً .

زداد تعقده حاجبها ، وقالت في عصبية :

- وما الذي منعه الآن .. كيف يمكننا أن نستعيد سيطرتنا على القمر الصناعي !!

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول بمنتهى المرارة :

- لم تعد هناك وسيلة مباشرة للأسف .

صاحت به :

- أوجد وسيلة .. هذا عمك .

أشار بيده ، قائلًا :

- ليس أمامنا سوى البحث عن وحدة التحكُّم الأرضية ،
والقضاء عليها .

سألته بكل العصبية :

- وكم يمكن أن يستغرق هذا ؟؟

هز كتفيه ، قائلًا :

- لا أعد يمكنه الجزم .

كانت تصرخ في وجهه غاضبة ، إلا أنها تنكَّرت تهديده
السابق ، فاعتقد حاجبها ، على نحو جعل ملامحها شديدة
القيح ، وهي تقول :

- ابذل قصارى جهدك إذن ..

لم تكذ تتم عبارتها ، حتى ارتفع رنين هاتفها المحمول ،
فالتقطته بعصبية ، قائلة :

- من هناك ؟؟

أناها صوت رئيس فريق الأئمة الجنائزية ، وهو يقول :

- سيبتى .. لقد توصلنا إلى نتائج إيجابية .

سألته في لهفة عصبية :

- هل عرفتم من تلك الحقيرة ؟؟

أجابها في سرعة :

- بالتأكيد يا سيبتى .

شعرت برجفة باردة تسرى في جسدها ، وهي تهتف به :

- من هي ؟؟

سألتها مدير المخبرات ، في تلك اللحظة :

- هل توصلوا إليها ؟؟

فأشارت بيدها إشارة صارمة قاسية ، وهي تكرر :

- من تلك الحقيرة ؟؟

أجابها رئيس الفريق في سرعة :

- (لورا كيلرمان) .. ملفها يقول : إن ..

قائمته في غضب مسترر :

- (لورا كيلرمان) !! أي قول أحق هذا يا رجل !! لست أرى من تلك الحسيرة بالضبط، ولكنها ليست (لورا كيلرمان) حتماً.

باعتها غضباً بغضب، وهو يقول:

- ولم لا !! البصمات التي تركتها خلفها، مسجكة دولياً باسم (لورا كيلرمان)، وشعرة الرأس، التي التقطناها من المقعد، الذي كانت تجلس عليه، يتوافق حمضها التسوي، وتتوافق بصماتها الجينية، بل تطبق الطباقاً تاماً، مع العسجق في ملف (لورا كيلرمان).

استرج غضبها بحيرتها، مما ضاعف من عصبيتها، وهي تقول:

- ولكن هذا مستحيل! لقد أعلنت أنها (لورا كيلرمان)، على شاشة العرض، في قاعة اجتماعات الكونجرس.

قال الرجل، في عصبية مماثلة:

- وهل يثبت هذا ما توصلنا إليه أم ينفيه !!

تمتعت مستشارة الأمن، وقد بلغت حيرتها مبلغها:

- ولكنها كانت تركز قناعاً.

قال في ضجر عصبى:

- ربما كانت تحاول إخفاء ملامحها.

قالت في حدة:

- القناع كان يحمل ملامح (لورا كيلرمان)، كما تبدو

في ملفها.

مرت لحظة من الصمت، قبل أن يقول الرجل في

صرامة:

- سيئتي .. لست أستوعب جيداً تلك التعقيدات، التي

تتعقدن عنها، ولكنني واثق من الأمانة، التي توصلتنا

إليها، فالأمانة المادية لا تكتب أبداً، ولقد كنت أن غريمتنا

هي (لورا كيلرمان)، قبل أن نعلم أنها قد أعلنت هويتها،

وهذا يحسم الأمر تماماً، ولو أنكم ترفضون الاعتراف

بالتسليم التي توصلتنا إليها، فبماتكم الاستعانة بفريق

آخر.

وحمل صوته مزيجاً من الغضب والصرامة، وهو

يضيق:

- لو وجدتم فريقاً أفضل.

قاتلها ، وأنهى المحادثة على نحو حاد ، ضاعف من غضب مستشارة الأمن القومي وحقنها وهيرتها ، فأعدت الهاتف إلى جيبها ، وهي تقول في مقت :

- هناك من يعيث بنا .

اتخذت حاجبا مدير المخابرات ، وهو يقول :

- لقد استوعبت هذا ، من ردودك على محنتك .. لقد تكلمتهم الأئمة أنها (لورا كهلرمان) .

هتكت في حلق :

- هل يمكنك أن تصدق هذا ؟؟

صمت لحظة ، قبل أن يجيب في حزم :

- كلاً .

ثم التقط هاتفه المحمول ، مستطرداً :

- وهذا يحتاج إلى إجراء تحريات واسعة ، حول ذلك ..

قاطعته رنين هاتفه المملجان ، فضغط زر إتمام الاتصال في سرعة ، وهو يقول في احترام :

- أوامرك بإسيادة الرئيس .

رأته مستشارة الأمن يستمع إلى الرئيس الأمريكي ، في انتباه بالغ ، دون أن يعنى بحرف واحد ، حتى أنهى المحادثة ، قائلاً في توتر ملحوظ :

- بالتأكيد بإسيادة الرئيس .. سنحضر خلال اثنتي عشرة دقيقة فحسب .

سأكته في لهفة ، وهو يعيد الهاتف إلى جيبه :

- ماذا حدث ؟؟

أطلق من صدره زفرة منتهبة ، قبل أن يجيب في توتر :

- الرئيس يريدنا في مكتبه فوراً ، فلك انتقلت تلك الحقيبة إلى المرحلة الجديدة ، وبدأت في فرض إرادتها القامة .

وهنا تضاعف غضب وسخط مستشارة الأمن القومي الأمريكية ..

تضاعف ألف مرة ..

« هل تعتقدن أنهم سيرضخون هذه المرة ، أيتها الزعيمة .. »

ألقى فقد قواتها السوال ، فى اهتمام مشوب بالقلق ،
ولكن الزعيمة الغامضة نفلت دخان سيجارتها الحمراء فى
عقب ، وقلقت فى ثقة بالغة ، وسخرية واضحة :

- ليس أمامهم خيار آخر .

تألفت عيناه ، وهو يقول :

- مائة مليار دولار ؟! ياله من مبلغ هائل !! إنه كليل
بان يجعل منا ثرى أثرياء العالم بلا منازع .

اهتسمت فى سخرية ، قلقة :

- إنها مجرد بداية .

هتف بكل دهشة الدنيا :

- مجرد بداية ؟!

نفقت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قلقة :

- بالتأكيد يا رجل .. هذا المبلغ ، على الرغم من ضخامته ،

يكفى بالكاد لبناء ذلك الجيش الصغير ، الذى سمعنا القوة
الحقيقية ؛ فطقتى تبلغ ذروة من الطموح ، لم تخطر ببال
أعظم عظماء التاريخ .

قل فى حيرة :

- مائة مليار دولار مبلغ رهيب ، يكفى لشراء دولة كاملة .

أشارت بسبابتها ، قلقة فى حزم :

- ولكنه لا يكفى لبناء دولة قوية ..

هتف بكل دهشة الدنيا :

- وهل تسعين لبناء دولة أيتها الزعيمة ؟!

أطلقت ضحكة عابثة طويلة أربكته ، قبل أن تقول :

- عطفك يعجز عن استيعاب الفكرة .. أليس كذلك ؟!

ضغمت فى عصبية :

- أعترف بهذا .

أطلقت ضحكة أخرى مستفزة ، ونفلت دخان سيجارتها

بمتهنى العقب ، ثم أدارت عينها إليه ، قلقة :

- الفعل ما لصحتك به إن ..

تطلع إليه فى تسالول متوتر ، فسلت نحوه ، وبدت ساخرة

عابثة ، وهى تستطرد فى بضع :

- توقف عن التكبير .

قالتها ، وعادت تطلق ضحكاتها العابثة الساخرة الطويلة ، على نحو استفز كل ذرة من كبته ، حتى تمنى لو يسحب مسدسه ، ويخرسها إلى الأبد ، برصاصه في منتصف جبهتها ، ولكن رقم العانة مثير دوائر تردد في ذهنه بقوة ، وأقنعه بالاحتمال والتماسك ، وهو يقول :

- فكرة الماسات النقية عبقرية بحق (*) .

هزت كتفها في لامبالاة ، قائلة :

- أراهن أنهم قد استتجوها مسبقاً ، فهذه هي الوسيلة الوحيدة لتقل مبلغ كعذا ، دون أن تحتاج إلى سفينة ركاب ضخمة .

سألها في اهتمام :

- ولكن هل سيجدون كل هذه الكمية من الماس ؟؟

قالت في هدوء :

- لن يبذلوا الكثير من الجهد .

(*) الماس : عنصر كريم ، تركيبه كربون نقي متبلور ، وبنورته تتبع مجموعة الماسك ، وهي شفافة ، أو نصف شفافة ، وقد تصور فلأ أسفرد ، أو أرنى ، أو لخصر ، وأقدم موطن لاستخراج (الهند) و (بورنيو) ، ويعتبر أكثر المواد صلابة ، أو أنه أكثر على حدش من المواد الأخرى .

ثم مالت نحوه مرة أخرى ، مستطردة في جمل :
- لقد أخبرتهم أين يجدونها بالضبط .

هتف في البهار :

- حقاً ؟؟

ثم سأل في نهفة :

- وهل يوجد مكان واحد ، في العالم كله ، يمكن أن يحوى هذا المقدار من الماس النقي ؟؟

أومأت برأسها إيجابياً ، وأشارت بيدها ، قائلة :

- من الواضح أنك تجهل الكثير عن علم الماس يا هذا ..

فطوال الوقت ، يتم استخراج الماس ، من مئات المناجم ، في (أوروبا) ، و (إفريقيا) ، و (أمريكا الجنوبية) و (آسيا) . وكل ما يتم استخراجها ، ينقل إلى حيث يتم صقله وتصنيفه ، إلى أنواع شديدة النقاوة ، وأخرى أقل نقاوة ، وهكذا ، حتى نصل إلى الأنواع ضعيفة النقاوة ، والتي تستخدم في الصناعة ، وفي قطع المواد وحفرها .. ولو تم طرح كل ما يستخرج من ماس ، لانخفاض سعره ، وضاعت قيمته في الأسواق ، لذا فهناك مراكز معتمدة ، في (أوروبا) والولايات المتحدة الأمريكية ، يتم فيها تخزين الماس ، وفقاً لترجات نقاله

المختلفة ، بحيث لا يطرح منه في الأسواق ، سوى كميات محدودة ، تضمن الحفاظ على سعره ، وبقاءه على القيمة ، بين مختلف الأحجار الكريمة (*) .

وتوقفت لحظة ؛ لتنفث دخان سيجارتها في استمتاع ، قبل أن تكمل في استرخاء :

- وأحد أكبر مراكز التجميع والحفظ هذه ، يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية ، ووفقاً لما جمعته من معلومات ، فهو يحوى ما قيمته مائة وعشرة مليارات من الدولارات ، في شكل ماس بالغ النقاوة ، أو جيد النقاوة إلى حد كبير ، وهذا يعنى أننى لا أتميز بالتطمع الشديد ، فقد تركت لهم ما يساوى عشرة مليار دولار من الماس .. أليس كذلك ؟؟

نظفت الجزء الأخير من عبارتها ، في سخرية واضحة ، فقلبت قائد قواتها شفتيه ، وضعفم :

- بلى أيتها الزعيمة .

(*) حيلة

ثم عاد يتسائل في اهتمام :

- ولكن أن يزدى طرح كل هذه الكمية من الماس إلى

الغلاض سعره !!

قالت في سرعة :

- بل إلى الهياره تماماً .

بدت عليه دهشة عارمة ، وهو يقول :

- كيف سربح منه إذن !!

أشارت بسنابقتها ، قائلة :

- سربح منه أكثر مما تتصور .

هتف بكل الدهشة :

- وكيف !!

صممت طويلاً هذه المرة ، قبل أن تلقى سيجارتها بعيداً ،

وتقول بمنتهى الصرامة :

- لا ترهق عقلك بالتفكير .. اترك هذه الأمور لى .

شعر بغضب شديد في أعماقه ، ولكنه ضغم :

- فليكن .

ثم أضاف في سرعة ، وكأنه يحاول تجاوز الموقف ،
الذي يثير غضبه وتوتره :

- هل تتوقعين أن يصل المصري إلى (واشنطن) ، على
الرغم مما فعلناه ؟!

صممت طويلاً مرة أخرى ، قبل أن تقول في حزم :

- سيحتاج إلى الكثير من الحظ ليفعل ، فكل مهارته وخبراته
لن تصلح هناك ..

وتوقفت لحظة ، ثم استطردت في شراسة :

- في قلب المحيط .

ومرة أخرى ، شعر الرجل بالخوف منها ..

الخوف بلا حدود ..

كان الموقف خطيراً للغاية بالفعل ..

صحيح أن (أدهم) يتود مقاتلة أكثر حداثة ، وأكثر
قوة ..

ولكن نون سلاح واحد ..

الوسيلة الوحيدة ، التي تيكست أمامه ، هي أن
يواصل مطاردة تلك المقاتلة المجهولة ، حتى يمنعها
من اتخاذ موضع ، يتيح لها إطلاق صاروخها الثاني
نحوه ..

وحتى هذا لم يكن متاحاً ..

فوقود مقاتلته يتناقص بمنتهى السرعة ..

ويتناقص ..

ويتناقص ..

ولن تعضى دقائق قليلة ، حتى ينفذ الوقود تصدقاً

دقائق قليلة جداً ..

وهذا يعني أنه لن يربح معركته هذه المرة ..

لن يربحها أبداً ..

لن يمكنه أن يربحها ..

وعلى الرغم من ثقته في هذا ، واصل المطاردة بكل القوة ..

وكل الإصرار ..

- ما تعلمه لا طائل ورائه أيها المصري .. -

التقط جهاز الاتصال في مقاتلته العبارة ، بلهجة ساخرة ، وصوت حاد ، ولكنة غير أمريكية ، فالتفت حاجباه في شدة ، وسمع صاحب الصوت الغليظ يهتف :

- رباح ! ثنيه شفرة الاتصال الخاصة بنا .

لم يحاول (أدهم) التعليق على العبارة ، وقائد المقاتلة المجهولة يواصل ، عبر جهاز الاتصال في مقاتلته :

- أعلم جيداً أنك لا تمتلك أية أسلحة ، وأن وقودك على وشك النفاد .. أولئك الحمقى الأمريكيون خشوا أن تستخدم مقاتلتهم ، في ضرب أهداف عسكرية لديهم ، فلزعوا تسليح مقاتلتك تماماً ، قبل أن يسمحوا لك بقيادتها .

كان (أدهم) يشعر بالغضب لهذا الموقف ، وعلى الرغم من هذا ، فقد قال في سخرية :

- وهل تعتقد أن هذا يضاعف من فرصتك في إسقاطي ؟!

أجابته قائد المقاتلة المجهولة على الفور :

- ومن سيحاول حتى أن يفعل ؟!

رأى (أدهم) المقاتلة المجهولة تنحرف ، لتواجه طائرة الوقود مباشرة ، وقالتها يواصل :

- هناك هدف أيسر .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلق صاروخه الثاني والأخير ، نحو طائرة الوقود مباشرة ، ونقل جهاز الاتصال ، في مقاتلة (أدهم) ، صوت قائد الغليظ ، وهو يصرخ :

- لا .. ليس ..

وقبل أن تكتمل صرخته ، دوى الانفجار ..

انفجار رهيب ، أضاع السماء كلها ، بكثرة لهب عاتلة .

مع اشتعال كل الوقود ، الذى حوته خزانات الطائرة الكبيرة ،
 وانبعثت معه موجة تضاعفية عارمة ، أخلت بتوازن مقاتلة
 (أدهم) ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها المقاتلة
 الأخرى مبتعدة ، بأقصى سرعتها ..

ويكل ما يمتلك من قوة ، وخبرة ، ومهارة ، راح (أدهم)
 يقاتل ، لاستعادة السيطرة على المقاتلة ، وهو يدرك جيداً
 أن انفجار طائرة الوقود ، قد وضعه فى مأزق رهيب ..

فحتى لو استعاد السيطرة على المقاتلة ، فإن الوقود
 سينفد خلال لحظات قليلة ..

وعندئذ ستهوى مقاتلته حتماً ..

فى قلب المحيط .

ويأحين

www.lilal.com/vb3

الجزء الثانى ياذن الله

(الغامضة)